



ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام موجد

البعث الإسلامي

العدد الأول - المجلد الثالث والسبعون
جمادى الأولى ١٤٤٨ هـ - نوفمبر ٢٠٢٦ م



إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

هيهات لا يأتي الزمان بمثله

رحيل شيخنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي إلى جوار رحمة الله تعالى

- البعث الإسلامي تدخل عامها الثالث والسبعين
- من عزة صناعية آفلت إلى عزة حقيقية خالدة
- الإيمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسول
- المجتمع الأمريكي وانهاية الخلق
- الذات الحقيقية والذات الزائفة
- التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية
- الصهيونية : حركة معادية للإنسانية
- كلمة الريح في الأدب العربي
- جولة علمية في تراث الدكتور محمد الوكيل
- العلامة غلام علي آزاد البلغرامي
- صنائع فاق صانعها ففاقت

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكاناؤ - الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat, Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,

Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

مصدر قوة المسلم

إن أكبر شيء يجب أن تحرص عليه الأمة الإسلامية وتعض عليه بالنواجذ وتتمسك به بكل قوة ، هو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتبليغ أحكامه ، وتنفيذ أوامره والدعوة إلى التوحيد الخالص ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، فإذا فقدت هذه الأمة - لا قدر الله لها - هذه الشريطة فقط ، امتلكت كل شيء ، امتلكت ما تمتلك أمريكا ، وما تمتلك بريطانيا ، فجائزه هذه الأمة مشروطة ببقاء هذه الأمة على هذه الصفة ، الصفة الفريدة ، المميزة ، والصفة المشخصة ، والصفة الكبرى التي تدعو هذه الأمة أن تعبد الله ، وتدعو إلى عبادته ، وليس معنى ذلك أن تكتفي بالصلاة ، وإن كانت الصلاة لها أكبر فضل ، ولكن لا يكفي أن تصلي هذه الأمة وأفرادها في المسجد فقط ، وتكتفي بها ، وهذا المسجد عامر بعبادة الله تعالى ، بل من الواجب أن تدعو البشرية كلها إلى عبادة الله وحده ، وإلى عقيدة التوحيد ، فيجب علينا أن نحافظ على هذه الشريطة ، ونعيد خصائصها وميزاتها التي رفعنا الله بها على الأمم .

(محاضرات في الفكر والدعوة ، ج ٢/ ٢٣٨) .

الاشتراكات السنوية

- في الهند
ثمانى مائة (بالبريد المسجل) ٨٠٠ / روبية
ثمان نسخة ٤٠ / روبية
- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم :
٧٥ / دولاراً بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية
- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك : باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846

IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157

STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

November 2026

مجلة إسلامية شهرية جامعة

نوفمبر ٢٠٢٦م

العدد الأول - المجلد الثالث والسبعون - جمادى الأولى ١٤٤٨هـ - نوفمبر ٢٠٢٦م

أنشأها

فقيه الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد
بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدمي الندوي

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حياة نامية، وأن منهج الدراسة خاضع الناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناول الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم. الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

٥	مدير التحرير	❖ أخى القارئ ! إن للبيت رباً سيحمله !
٦	سعيد الأعظمي الندوي	❖ الافتتاحية : البعث الإسلامي تدخل عامها الثالث والسبعين
١٠	الشيخ السيد محمد الحسنى رحمه الله	❖ التوجيه الإسلامي : من عزة صناعية آفلة إلى عزة حقيقية خالدة
١٤	الشيخ السيد بلال عبد الحى الحسنى الندوي	❖ الدعوة الإسلامية : الإيمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل
١٨	الأستاذ الدكتور عبد الرحيم القدوائى	المجتمع الأمريكى وإنهياره الخلقي
٢٥	د . ماجد هاشم كيلانى	الذات الحقيقية والذات الزائفة في ضوء آيات القرآن الكريم
٢٣	د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي	❖ الفقه الإسلامي : التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية
٤٢	المفتي عتيق أحمد البستوي	❖ دراسات وأبحاث : الصهيونية : حركة معادية للإنسانية
٥٢	د . أورنك زيب الأعظمي	كلمة الريح في الأدب العربي
٥٨	الأستاذ أكرم نواز الندوي	تعليم قواعد اللغة العربية للناطقين بغيرها في الهند
٦٤	د / أبو سحبان روح القدس الندوي	رجال من التاريخ : جولة علمية في تراث الدكتور محمد الوكيل
٧٠	البروفيسور حبيب الله خان	العلامة غلام علي آزاد البلگرامي
٧٩	الأستاذ محمد أرشد عبد الغفور عبد المجيد الندوي	❖ في رياض الشعر والأدب : زيب الأنوار
٨٠	محمد فرمان الندوي	❖ صور وأوضاع : صنائع فاق صانعها ففاقت
٨٤	الدكتور صالح العود	❖ بأقلام القراء : تحية إكبار من وراء البحار
٨٦	الأستاذ محمد سلمان البجنوري الندوي	❖ بأقلام الشباب : توقير كبار السن من شيم الأبرار
٩١	المفتي شمائل أحمد عبد الله الندوي	نظرة أعمق إلى النسوية والإسلام
٩٣	الأخ حسين أحمد الندوي	❖ أخبار علمية وثقافية : وفد ندوة العلماء في مصر
١٠١	الأخ محمد أرقم	محاضرة علمية وثقافية في رحاب دار العلوم لندوة العلماء
١٠٣	قلم التحرير	❖ إلى رحمة الله تعالى : الشيخ المقرئ شبير أحمد إلى رحمة الله تعالى

هيهات لا يأتي الزمان بمثله

رحيل شيخنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي إلى جوار رحمة الله تعالى

ننعى إلى قرائنا الكرام أستاذنا الجليل ، ومربينا العظيم ، أبا المآثر والإنجازات ، ومربي الأجيال وصانع الرجال الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي عن عمر يناهز ٩٣ / عاماً ، ولم يكن يشكو مرضاً عضالاً أو يعاني داءً مزمناً إلا الشيخوخة وانهيار الصحة ، وكان في حالة صحية جيدة ، وقد تناول الفطور ، واستراح كالمعتاد ، لكن جاء أجله المحتوم ، قلبى نداء ربه يوم الأربعاء في الساعة الثالثة ظهراً ، في الرابع والعشرين من ربيع الثاني ١٤٤٨ هـ ، والسابع من شهر أكتوبر عام ٢٠٢٦ م ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله رحمةً واسعة ، وأسبغ عليه شآبيب رحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وألهم جميع أهله وأسرتة وتلامذته وجميع من ينتمي إليه الصبر والسلوان . إن هذه الحادثة أملت بنا كصاعقة فاجعة للقلوب ، ومبكية للعيون ، ومفتتة للأكباد ، ومشتتة للعقول والأذهان .

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفيض ماؤها عذر عاش شيخنا الأعظمي حياةً ملؤها جد واجتهاد ، ونشاطات وفعاليات ، إنه أبصر النور في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي ، ودرس في جامعة بلده مفتاح العلوم وتخرج منها على أعلام المحدثين في الهند ، ثم انتقل إلى دار العلوم لندوة العلماء ، وتخصص في الأدب العربي ، وقضى سنةً كاملةً في قسم تدريب المعلمين ، ثم اختير أستاذاً في هذه الدار ، فأثبت جدارته ، وارتشف من نيمره الفياض ، ومعيه الرقراق تلامذته عبر سبعين عاماً ، وانتخب مديراً لها ، وظل على هذا المنصب إلى آخر حياته ، إنه خاض في الصحافة الأردنية والعربية ، وظل مرتبطاً بهذه المنابر الدعوية والإصلاحية كاتباً قديراً ، وصحافياً ضليعاً ، وداعيةً إسلامياً ، وممثلاً

إسلامياً ، كما قام بتطوير العلوم الحديثة (الطب والهندسة والتقنية) على أرفع مستوى ، وظل متصلاً بالإمام العلامة السيد أبي الحسن الحسيني الندوي حوالي ثمانية وأربعين عاماً ، وكان يعتبر هذه الفترة فترة ذهبية لحياته ، ويفتخر بها ويعتز ، كما استفاد من علماء العالم الإسلامي وجهابذته وأعلامه ، وظل إماماً لجامع ندوة العلماء وخطيب منبره أكثر من ستين سنة ، فكان يلقي خطباً علمية ودعوية طول حياته من هذا المنبر العظيم ، وقد نشرت خطبه وكلماته باسم " خطب أيام الجمعة في ضوء الكتاب والسنة " ، وترك وراءه آثاراً علمية وإصلاحية ، وهي علم ينتفع به بإذن الله ، كما خدم ندوة العلماء طول حياته ، وجال وصال في أقطار العالم الإسلامي للتعريف برسالتها ، وسافر إلى القارات المختلفة لتوسعة نطاقها على إيعاز من شيخه الإمام الندوي رحمه الله ، وقد شرف المهرجان التعليمي لندوة العلماء عام ١٩٧٥م من ١٥ / دولة أكثر من خمسة وستين مندوباً ، فالفضل يرجع بعد الله تعالى إلى رحلات شيخنا الأعظمي التي قام بها لتقديم الخطابات إلى أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة ، واستغرقت رحلاته للتعريف بندوة العلماء إلى العالم العربي خمسين عاماً .

قضى شيخنا رحمه الله حياة مثالية نموذجية ، وهي حافلة بالإنجازات والأعمال والمآثر والمكارم ، وسُجِّل وتكتب وتدون بماء من الذهب ، وبمداد من النور ، فالميزة الأولى له الجمع بين الإخلاص والاختصاص : الإخلاص مع الله والاختصاص في فن العربية والأدب ، هذا الذي أسبغ عليه القبول العام والشعبية الكاملة في العامة والخاصة ، والميزة الثانية اتصاله بكتاب الله ، فكان كثير التلاوة والفهم والنشر لمعاني القرآن الكريم ومفاهيمه كل حين وآن ، فكان يختم ختمة في يوم وليلة في بعض الأحيان ، والميزة الثالثة رزقه الله الاستقامة والمداومة على الأعمال ، فلا يبدأ عملاً إلا ويستمر فيه ، ويبلغه إلى نهايته ، وهي أكبر ميزة ، لأن " الاستقامة فوق الكرامة " ، والميزة الرابعة الشعور بالمسؤولية ، فلا يضيع أي لحظة من لمحات حياته إلا ويستغلها في صالح

الأعمال ، وإذا رأى أحداً يتساهل في أداء مسؤوليته غضب عليه ، والميزة الخامسة أنه واطب طول حياته على قيام الليل ، هذا الذي أضفى على عمله النكهة والنور والضياء والإشراق ، والميزة السادسة أنه يحمل صفة الخيرية ، والخيرية سبب بقاء الإنسان ، فكان يحمل اليد العليا دون اليد السفلى ، ويملك في شخصيته ما عدا ذلك من الخصائص البارزة ، ونلخص حياته في نقطتين : خصائص شخصية ، وخصائص فنية ، وفقنا لله لاختيارها والتمسك بها .

كان شيخنا والله رجلاً في أمة ، وأمة في رجل ، صنع تاريخاً مشرقاً للمعالي والعوالي ، وأعد أجيالاً وناشئات مثالية ، وسجل مآثر أسطورية في الصحافة العربية ، ولا شك أنه كان علماً من الأعلام ، وفطاحلاً من الفطاحل ، وجهبذاً من الجهابذة ، وكان رابع أربعة من الكتيبة الإيمانية التي جهزها الإمام الندوي رحمه الله لمقاومة الغزو الفكري ، والحضارة الغربية ، فكان في هذه الكتيبة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، والشيخ السيد محمد الحسن ، والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، وآخرهم شيخنا سعيد الأعظمي ، فقد تهدم بوفاته بنيان قوم و شعب ، ولحقت بنا وبالأمة المسلمة خسارة فادحة ، لقد تتسمنا عنده نسيم العلم ، وتغذينا منه غذاء المعرفة ، واستنشقنا منه عبير الإيمان والحنان ، وتمتعنا بصحبته وتوجيهاته ، فلا نقول إلا ما يرضي ربنا : إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان لمثله لبخيل

هذه كلمات كتبت على عجل ، وقد كان عدد نوفمبر للمجلة في المطبعة ، فلم يكن لنا بد من زيادة هذا الملحق الحزين إليه ، للاطلاع على هذا النبأ المؤلم ، والحادث المفجع ، وستتشر المجلة بإذن الله عدداً خاصاً بجهوده ومآثره وأعماله في الشهور الآتية .

محمد فرمان الندوي

١٤٤٨/٤/٢٦ هـ

٢٠٢٦/١٠/٩ م

عدد ممتاز لمجلة البعث الإسلامي

عن الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

رحمه الله تعالى

فوجئت أسرة مجلة البعث الإسلامي وندوة العلماء بأسرها بوفاة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ومدير دار العلوم لندوة العلماء) ، وهي حادثة أليم لجميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية في الهند وخارجها ، ولا سيما مجلة البعث الإسلامي ، فقد كان رحمه الله مشاركاً في إنشائها ثم اختير رئيساً لتحريرها بعد وفاة الشيخ السيد محمد الحسني رحمه الله . وظلت مدة رئاسة تحريره أكثر من خمسة وأربعين عاماً .

وإن حياة أستاذنا رحمه الله حافلة بكثير من الإنجازات والأعمال ، وهي مسجلة في ذاكرة التاريخ ، فالحاجة إلى إبراز نواح متنوعة لجهوده وآثاره ، فقد قررت أسرة المجلة إصدار عدد ممتاز لها حول الشيخ سعيد الأعظمي الندوي رحمه الله ، يزدان بإذن الله هذا العدد ب :

(١) جوانب مشرقة من حياته (٢) آثاره العلمية والأدبية

(٣) إبداعاته في الأدب الإسلامي (٤) بحوث ودراسات حول أعماله

وغيرها من كلمات التعزية وشعر الرثاء وأخبار التأبين .

الرجاء إرسال البحوث والمقالات على عجل إلى مكتب المجلة أو على هذا العنوان الإلكتروني

Email: albaas1955@gmail.com

إن للبيت رباً سيحّميه !

هذه الجملة ليست مجرد كلمة ، ولا لفظة نطق بها لسان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هي عاطفة نابغة من قرارة قلبه ، وصميم فؤاده أنه ليس رب البيت ، بل رب البيت الحرام هو الله وحده ، كأنه ذكر أبرهه بأنك ما تُضمّر من نوايا سيئة نحو هدم الكعبة لن تحقق أبداً ، وأنت تُخفق في مرامك ، وتقال خزيا وندامة على مرأى من الناس ومسمع ، ونهاية وخيمة عند الله تعالى ، فإن الكعبة المقدسة هي أول بيت على وجه الأرض ، سمّاها الله تعالى بالبيت العتيق ، فلم تتمكن يد الحدثان من السيطرة والاستيلاء عليه في أي فترة من فترات التاريخ ، وقد كانت بداية الأرض من مكة ، وستكون نهايتها من أرض الشام ، فلن تفلح محاولة مشتولة بذلت نحو الإساءة إلى الحرم بإذن الله .

وقديما قال العرب : " الأسماء تنزل من السماء " فأسماء مكة وبكة والحاطمة والبلد الحرام والبلد الأمين وخير أرض الله وأحب البلاد إلى الله وغيرها التي تبلغ إلى ستين اسما تدل دلالة واضحة على أن هذا البلد يكون آمناً ومصوناً إلى ما شاء الله ، فكلمة مكة وبكة معناهما موضع يدق أعناق الجابرة والقياصرة ، وقس على ذلك الأسماء الأخرى ، فهذه الصيانة الإلهية لم تكن إلا لأجل الكعبة المقدسة ، قال الشاعر :

وما كثرة الأسماء إلا لفضلها حباها بها الرحمن من أجل كعبة

وقد سَمَّى القرآن الكريم الكعبة قياماً للناس ، ولم يكن في القرآن ذكر " قياماً للناس " إلا لأمرين اثنين : المال الذي هو سبب بقاء الناس الجسدي ، والكعبة التي هي سبب وجودهم الروحي ، فكل مسلم له وطنان : وطنه الذي عاش فيه ، ووطنه الذي يغذي روحه وقلبه وشبابه ، وقد قال الإمام أبو الحسن علي الحسيني الندوي في شرح قوله تعالى " قياماً للناس " : " إن نظام العالم الكوني ليس مرتبطاً بالحكومات ولا بالمنظمات ، ولا ينحصر في الإدارات والمؤسسات ، بل تتصل بالكعبة المقدسة ورسالتها الخالدة عقيدة التوحيد والتوكل على الله تعالى " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا الكعبة حق تعظيمها ، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا (ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب فضل مكة) .

فالمحاولات المشؤومة من الجهات المعادية للإسلام والمسلمين نحو الإضرار بالكعبة المقدسة في الآونة الأخيرة جديرة بالشجب الاستكثار الشديد ، وقيمة بأن ترد على أوكارها وأعشاشها رداً عنيفاً ، بحيث لا تتجاسر في الأيام القادمة ، لأن المثل العربي يقول : الحديد بالحديد يفلح .

مدير تحرير المجلة

١٤٤٨/٤/١٥ هـ

البعث الإسلامي تدخل عامها الثالث والسبعين

إنها تجربة فريدة في مضمار الصحافة الإسلامية الهندية في الهند ، في فترة الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ، يوم بدأت هذه التجربة كانت الساحة شبه شاغرة - ولاسيما في بلاد الهند - من دافع المغامرة على قلة الإمكانيات وضآلة الوسائل ، ولكن روح الإخلاص التي كانت تعمل بكل قوة في قلب الرجل الطموح العظيم الذي كان يشعر بمسئوليته نحو العمل الإسلامي عن طريق الصحافة الهادفة ، أبت إلا أن يخوض المعركة بالثقة والإيمان ، وينشر كنانته في الساحة ، عسى أن يكون التوفيق رائده ، ويستطيع أن يحقق الهدف الذي كان قد توخاه يوم قرر أداء واجب الدعوة الإسلامية عن طريق الكلمة الهادفة التي كادت تفقد وجودها في خضم الصيحات والنعرات الجاهلية التي كانت تملأ العالم كله لتحقيق أغراض رخيصة وخدمة مصالح محدودة موقته .

إنه الداعية إلى الله والمفكر الإسلامي الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله ، الذي أعدَّ جيلاً للنهوض بعبء الدعوة إلى الله أدباً وصحافة ، وكتابةً وتأليفاً ، وخطابةً وحواراً ، ووقع اختياره الموفق على ابن أخيه الأكبر سعادة الأستاذ السيد محمد الحسيني رحمه الله ، لكي يتحمل مسؤولية الصحافة العربية الإسلامية في هذه البلاد ، ويزود الجهات العلمية والتربوية ومراكز العلم والدعوة بزداد من الفكر الناصع ، والأسلوب البين الواضح ، واتفق الرأي على إصدار مجلة إسلامية باللغة العربية ، تكون همزة وصل بين الهند والعالم الإسلامي العربي ، ويكون شعارها الوحيد " إلى الإسلام من جديد " .

وهنا صدرت المجلة ، تحمل عنواناً مثيراً يتفق والهدف المتوخى (البعث الإسلامي) بإزاء البعث العربي الذي حاول حصر الأمة العربية في نطاق العنصرية والعرقية بقيادة السيد ميشيل عفلق ؛ مؤسس حزب البعث يوم ذاك ، إلا أنه لم ينجح في تحقيق الأهداف التي توقعها من خلال البعث

العربي ، وسرعان ما نالت الجماعات الإسلامية في الدول العربية ضالتها المنشودة في اسم " البعث الإسلامي " ، وجعلته عنوانا لدعوة الناس إلى الإسلام من جديد ، فكان سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي قد تتبأ بحزمه العميق وبصيرته النافذة حاجة الأمة الإسلامية إلى البعث الإسلامي ، وعودتها إلى منصبها الدعوي القديم ، وسمى المجلة بهذا الاسم الجامع الذي يمثل رسالة الإسلام وحاجة الدعوة المعاصرة .

صدر العدد الأول حسب الإمكانيات المتوافرة يومئذ ، بإشراف سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله ، وقد تضمن من الموضوعات التي نشرت فيها حسب ما يلي :

" الكتب التي عشت فيها " لسماحة العلامة الندوي " الأدب قوة " لسعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي " السيد أحمد الشهيد " للأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي ، " الشاعر محمد إقبال يناجي العرب " لكاتب هذه السطور سعيد الأعظمي ، وتحلى صدر المجلة بافتتاحيته العدد بقلم الأستاذ السيد محمد الحسيني ؛ رئيس تحرير المجلة ، بعنوان : " أهدافنا " تحدث فيها عن الأسباب التي دعت إلى إصدار هذه المجلة ، وبدأها بحاجة الشباب المسلم إلى الإسلام من جديد ، يقول :

" الشباب الإسلامي في العصر الحاضر يحتاج إلى الإيمان بالله والاعتزاز برسالته ، والثقة بالمستقبل ، الشباب الإسلامي في حاجة ملحة إلى تقريب الصفوف وتوحيد الكلمة ، حتى يكون وحدة متماسكة أمام الباطل ، الشباب الإسلامي في حاجة إلى غذاء دسم يجمع بين علم ودين وأدب ، وليكن دينه وإيمانه هو أغلى شيء له في الوجود ، وأثمن من كل شيء في العالم ، إن طلبه العربية بصفة خاصة يحتاجون إلى العناية بالصحافة العربية والأدب العربي الحديث ، الناشئة الحديثة في الهند تحتاج إلى توجيهات رشيدة تغذيها في علمها وأدبها وثقافتها ودينها ، هذه هي حاجة الناشئة الحديثة ، وحاجة أبناء المدارس الدينية ، وحاجة الشباب الإسلامي الكبرى ، في حين يحتاج فيه الإسلام إلى ألف قلم وألف لسان ، نرى الشباب الإسلامي نائما مستغرقا في النوم ، وطلبة المدارس الدينية الذين كان يجب أن يأخذوا بالزمام ويقودوا القافلة هم في مؤخر الصفوف ، فلتت هذه المسألة ولنبدأ بحياتنا الجديدة في سبيل جديد " .

وجاء في ملخص هذه الأهداف في النقاط التالية :

١. بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب .
٢. توجيهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم .

٣. توثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس الإسلامية العربية في الهند .
٤. إنشاء روابط ثقافية بين طلبة المدارس العربية في الهند وشباب العالم العربي .

٥. رفع مستوى اللغة العربية والأدب العربي في الهند .
في بداية الأمر تركزت العناية على الأهداف المذكورة عالية ، ولكن واقع الدعوة الإسلامية كان المحور الرئيس الذي اتجهت إليه العناية بوجه خاص ، حينما وجدت الأوساط الدعوية متفككة في هذه المجلة ، وأدرك الشباب الإسلامي بغيته فيها للتعبير عما يجيش في نفسه من عواطف الحب والإيمان ، التي كاد يحتجب تأثيرها أمام الثورة علي كلمة الحق ، وكبت الحرية من كل نوع ، فكان الإقبال عليها متزايدا من جميع النواحي ، وأصبح لها مشتركون في الدول الإسلامية العربية ، ولما كانت لنا زيارة لمصر العزيزة في عام ١٩٧٨م ، عرف الناس في كثير من اللقاءات مع أساتذة الجامعات والشباب الإسلامي ، علاقتنا بمجلة " البعث الإسلامي " ، فالتفوا حولنا وطلبوا اشتراكات في المجلة ، حتى فكرنا في إصدار الطبعة الثانية للمجلة من مصر ، وقدمنا طلباً بواسطة بعض الأصدقاء إلى وزارة الإعلام لإصدار طبعة ثانية لهذه المجلة من مصر ، حيث يتولى بعض المكتبات توزيعها بانتظام ، ووافقت الوزارة على هذا الطلب ، ولو لا بعض الموانع الأدبية في توفير الوسائل المالية للطباعة لكانت المجلة قد تابعت نشاطها المتضاعف من مركز الأدب والأدباء ، وموئل العلم والعلماء ، من بلد الكنانة ، والأزهر الشريف .

كل ذلك لأنها كانت تتحلى بإنتاجات ذات طابع دعوي خالص ، ولحملة أقلام جريئة وبافتتاحيات قوية كانت تضرب على الوتر الحساس ، وتعال الإعجاب والقبول من جميع الأوساط العلمية والدينية والأدبية والصحفية في كان مكان ، قد أصبحت لها أسرة يلتقي فيها أعضاؤها على الإخلاص والجمع المتزن والوسطية الخالصة التي هي ميزة الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان . (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة : ١٤٣] .

وقد شهد لشخصية هذه المجلة الممتازة وصاحبها العملاق العبقرى ، الأستاذ المرحوم السيد محمد بن عبد العلي الحسني ، عمه الجليل سماحة العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، يقول : " أصدر المجلة " البعث الإسلامي " في صفر سنة ١٣٧٥هـ (أكتوبر

١٩٥٥م) وله من العمر عشرون (٢٠/سنة) ، وهي المجلة العربية الرائدة في القارة الهندية بعدما احتجبت مجلة " الضياء " (التي كانت لسان حال ندوة العلماء) سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) فكانت مغامرة واقتحاما ، له قيمته وخطره في البيئة الهندية التي قد يضيق صدرها لأردو ، اللغة التي ولدت ونشأت في الهند ، وكان ذلك على مسئوليته الشخصية ومساعدة والده ، وساعده في التحرير زميله الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ، ثم انتقلت إلى ندوة العلماء ، وأصبحت ترجمانها وترجمان الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي .

ولما جاءت الفترة الحالكة التي هبت فيها عاصفة القومية العربية الهوجاء في الخمسينيات الأولى ، وسحر بها أكثر أبناء العرب وشبابهم - وكثير من كهولهم وعلمائهم - يقودها الرئيس المصري جمال عبد الناصر بشخصيته القوية وبراعته في فن الدعاية والمناورة ، وكانت فتنة عمياء أعمت وأصمت ، وموجة عامة اكتسحت الصحافة والأدب ، برزت مجلة : " البعث الإسلامي " في الميدان ، وعلى رأسها محررها الشاب يحمل راية النقد الجريئ والحسبة القوية والهجوم العنيف ، حسبت له القيادة المصرية وصديقاتها حسباناً لم تحسبه لمجلة أخرى ، وطلب تحريرها في الجهات المختصة في بلاده ، ونوقش في الموضوع ، فلم يلب ولم يستكن ، واستمر في كتاباته حتى انقشع الضباب وتبين الصبح لذى عينين ، وتلك مآثرة تتير تاريخه في الدنيا ، وتبيض صحيفته في الآخرة - إن شاء الله - .

وقد مدَّ الله تعالى في عمر هذا الغرس المبارك فأكمل اثنين وسبعين عاماً ، ودخل في العام الثالث والسبعين كدوحة وارفة الظلال ، لا يزال يستظل بها أصحاب الفكر السليم وأولو المنهج القويم في الدعوة الإسلامية ، من الدعاة والعاملين في مجال العمل والبعث الإسلامي . والله هو المسئول أن يكرم القائمين عليها بالإخلاص والنزاهة والتواضع ، ويوفقهم إلى الاستمرار في هذا المسار الكريم ، وتحقيق ذلك الهدف الغالي الذي أرادته مؤسسها وزملاؤه في مجال البعث الإسلامي : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٨/٤/١٤ هـ

٢٠٢٦/٩/٢٦ م

من عزة صناعية آفلت إلى عزة حقيقية خالدة

الشيخ السيد محمد الحسن بن رحمه الله تعالى

هناك العزة بالعلم .
وهناك العزة بالجاه ، والعزة بالسلطة والحكم .
وهناك العزة بالدرهم والدينار ، وبالخميصة والقطيفة ^١ .
والإسلام ينسخ هذه الأنواع كلها مهما تنوعت صورها ، وراقت
أسمائها ومصطلحاتها ، ولا يقبل شهادتها أبداً .
إنه يؤمن بعزة واحدة ، وعزة خالدة ، وعزة أصيلة لا تقوم على
قوائم صناعية وأرجل خشبية ، عزة ثرة فياضة لا ينضب معينها ، ولا
ينقطع مددها ، ولا يعرقل سيرها شيء .
فما هي هذه العزة ؟

إنها العزة بالإيمان ، العزة بالتقوى ، العزة بالقبول عند الله ونيل
رضاه ، العزة بالصبر والورع ، والقناعة والعفاف ، والحب والوفاء ،
والتضحية والفداء .

إنها العزة بالله .
(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات : ١٣] .
ونعود إلى العزة بالعلم المجرد ، فقد تفاقم شرها واستفحل
خطرها ، وندرت معرفتها ، وعمت الغفلة عنها في هذا الزمان ؟
إنها الخلية التي تتسرب منها سمومها الفتاكة إلى بقية أجزاء
الجسم الإنساني وخلاياه .

إنها الخلية المريضة أو الخلية المصابة في الجسم الإنساني ، إنه
مرض يصيب - في الغالب - العلماء والأدباء ، والفلاسفة والحكماء ،
حينما يحول علمهم وأدبهم دون رؤية الحقائق من غير قصد ، أو لتجاهلهم
عنها عمداً واستكباراً في الأرض .

هذا المرض يصيب رجال الفكر ورجال الدعوة ، وأساتذة التربية
والإصلاح الاجتماعي فيحدث فيهم اختلالاً في الفهم ، فيرتفعون في بعض
النواحي - من أجل تلك العلوم التي نبغوا فيها - إلى مواقع النجوم ،
ويهبطون في بعض النواحي إلى حضيض الماشية والغنم ، لا يكادون

^١ تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطى رضي وإن لم يعط لم
يرض ، رواه البخاري في صحيحه ، رقم الحديث : ٦٤٣٥ .

يفقهون حديثاً .

ومن أكبر أعراض هذا المرض أن ترى مفكراً وعالمًا ، ومحدثاً وفقهياً ، وخطيباً وشاعراً ، ومؤلفاً وكاتباً ، يحسن وصف الداء ، ويتفنن في تحديد الدواء ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكنه لا يتحمل كلمة بسيطة من النقد ولا يقبل النصح ، ولا يصغي إلى رأي الآخرين ، ويرى - في لاشعوره ، وعن شعور بعض الأحيان إذا اشتد عليه المرض وأنهك قواه - أن أفكاره غير قابلة للجدال ، وأن ما صار دون علمه وغاب عن نظره البعيد الثاقب هو جهل ، وأنه غير مكلف وغير مسئول عن العمل بما يقول ويدعو إليه .

أما صاحب العزة بالتقوى ، وخشية الله ، والإنابة إليه والتوكل عليه ، أما صاحب العزة بالتذلل على بابه ، والتمرغ في تراب داره ، وصاحب العزة بافتقاره الدائم ، واحتياجه الطبيعي المستمر الأصيل إلى الله ، فهو يقف - دائماً - عند حدود الله كلما نصحه ناصح ، ويمسك عن العدوان ولو نبه إلى ذلك وليد ، ولذلك وصف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه - وكان شديد الشكيمة ، قوي البطش - بأنه كان وقافاً عند حدود الله تعالى .

العزة بالعلم تمنع الإنسان عن تسديد رأيه ، وتقويم منهجه ، وتصحيح مفاهيمه ، ولو تبين له الحق ، وظهر عنده وجه الصواب .
والعزة بالله تحت الإنسان على الرجوع إلى كل شخص يرى عنده فائدة دينه ودنياه .

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف : ٢٨] .

العزة بالعلم تمنع العالم والمفكر عن النظر إلى حقائق بسيطة واضحة ، سهلة ، يتوقف عليها مصير هذا العالم والمفكر ومصير الإنسانية بالتالي :

ويقول بلسان حاله : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) [فصلت : ١٥] .

ويقول : (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) [الكهف : ٣٤] .

ويقول : (لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف : ٣١] .

ويقول : (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ) [الشعراء : ١١١] .

(وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) [هود : ٢٧] ، (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) [الزخرف : ٥٢] .

إنها أطوار وسمات وخصائص معلومة بارزة للعزة بالقوة ، سواء كان قوة المال أو قوة العلم أو قوة البيان أو قوة السطان .
ويعنينا في هذا المكان العزة بالعلم ، فقد صار العلم اليوم موضوعة المجتمع العصري في مجال الدين والدنيا معا .

ونخص منهم أساتذة الدعوة ، ورجال الإصلاح ، وأقطاب الفكر ، وخبراء التربية ، ولا أقول : إنهم مصابون بهذا المرض ، ولكني أقول : إنهم بحكم - علمهم الجَم ، وحسن بلائهم في الدعوة ، ومواقفهم في الفكر والتربية والإصلاح ، على خطر دائم .

ولذلك ترى القرآن يصور هذه الأنماط البشرية ، ويصف هذه النفسية ، نفسية الأقوياء ، ونفسية الأغنياء ، ونفسية العلماء والحكماء . فهل هو يصور غائبا ومعدوما ، أو يبنى من الحبة قبة ، معاذ الله ! بل إنها حقائق حياتنا اليومية نشهد آثارها ، ونكتوي بنارها بين الحين والحين ، في مسيرتنا الطويلة على درب الحياة .

ونعود إلى ذلك الفرق الهائل بين العزة بالعلم والعزة بالله ، حتى يتبين لنا الحق وينكشف ما بقي جَولهما من ضباب .

وأقدم لذلك مثلين : مثلاً من تاريخنا القديم ومثلاً من تاريخنا الحديث ، المثل الأول هو للإمام أبي حامد الغزالي ، فقد تخلص الغزالي من جاذبية العلم أو قل إذا شئت ، تحرر من عبودية العلم ، فصار خالداً في التاريخ ، وكتب كتابه العظيم " الإحياء " ، وعد من أفذاذ التاريخ الإسلامي ، هذا العبقري جلس مع قوم ذكرهم الله في كتابه ، وأمر نبيه بالجلوس معهم ، فقال : (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ) [الكهف : ٢٨] .

ولولا هذه النقطة ، نقطة تحول في حياة الإمام الغزالي ، ما كانت له هذه الميزة ، وهذا الخلود ، وذلك التأثير السحري العجيب في كتاباته ، وهكذا كل من خرج من عبودية العلم ورقه ، لم يخرج إلا لله ، آتاه العلم وهو راغم .
ومن تواضع لله رفعه الله .

وليس المراد أن يخرج الإنسان من دولة العلم ورحابه ، إنما المراد أن يخرج من عبوديته ، ولا يجعله صنما يعبد من دون الله ، أو يعظم كشعائر الله ، أو يجعل في خدمة الهوى والمال والجاه .

والمثل الثاني (وهو من تاريخنا الحديث) للإمام الشهيد حسن البنا . انظروا في مذكراته ، ترى هناك نفس الصورة ، فقد آتاه الله مواهب نادرة للقيادة - وعبقرية نادرة للبناء والتجميع ، وقوة غالبة لفرض

فكرته على الجماهير وسوقه إلى أي جهة يشاء .
ولكنه لم تأخذه العزة بهذه الموهبة والعبقرية ، والقوة الغالبة
والبيان الساحر الخلاب ، الآخذ بالألباب ، وأصبر نفسه مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .

هنالك تحرر من جاذبية هذه العزة الصناعية الآفلة ، وارتبط بعزة
الله الحقيقية الخالدة ، فاحتل عرش القلوب من المحيط إلى الخليج .
إنه اتصل بمنبع الحرارة ، والنور ، والصفاء ، والإشراق ، فصار
نوراً يبديد الظلمات (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا
مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فَاطِر : ٢٠] .

وبعد ، فإن حاجتنا وفاقتنا إلى هذا المنبع العظيم ، أشد من حاجة
أسلافنا وفاقتهم إليه ، فهذا عصر الفتنة والفساد ، وعصر الإغراءات ،
وعصر التزوير والتلبيس ، عصر انقلبت فيه الموازين ، وتغيرت فيه المثل ،
وصار الدعاة إلى الله - بصفة خاصة - أحوج إلى الاتصال بهذا المنبع
الفياض العظيم الذي لا يخل ولا يمسك الرواد مناهله في أي حين .
(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)
[الشورى : ٢٨] .

إنها ليست حاجة القابعين في الزوايا ، المتزمتين في الخلوات ،
الهاربين من أعباء الحياة ، بل إنها قبل كل شيء ، حاجة الخائضين في
غمار الحياة ، ومعترك الحياة .

إنها حاجة الذين يواجهون هذا الخطر ، ويمارسون هذا الصراع ،
وليس عندهم ما يتزودون به للانتصار المؤكد الأخير .
إنها حاجة الشباب العصري المثقف الذي عقدت به الآمال ،
وشخصت إليه الأبصار ، وهفت إليه القلوب .

إنها حاجة الذين بيدهم زمام التوجيه ، والقيادة الفكرية ، أو
القيادة السياسية والاجتماعية .

إنها حاجة الظالمين والمتعطشين - ولو بلغوا ذروة العلم وأوج
السلطان - حينما يشعرون بخواء الروح ، وخمود العاطفة ، وحينما
يتجهون إلى الله ، ضارعة نفوسهم ، مرتفعة أكفهم ، قلوبهم منكسرة ،
وعيونهم مستعبرة ، وقد اشتد بهم الجذب ، وبلغت بهم الفاقة كل مبلغ .
إنها حاجة الذين يحبون أن يسجلوا في قائمة الخالدين في الدنيا
والدين .

إنه طريق الخروج من دنيا الفناء إلى عالم الخلود وملكوت السماء .
إنها نقلة من العزة بالعلم أو العزة بالجاه أو العزة بالمال ، إلى العزة بالله .

الإيمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل (الحلقة الأولى)

بقلم : الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

الإيمان بالكتب السماوية :

ومن كمال الإيمان بالله تعالى أن يؤمن الإنسان بالكتب التي أنزلها الله تعالى من فوق سبع سماوات ، هذا ما يُعرف بالإيمان بالكتب السماوية ، وهذا الإيمان يكون مجملًا ومفصلاً ، فمجمل الإيمان أن نؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على عباده المصطفين ، ونحن نؤمن بهذه الكتب ، ثم نؤمن بجميع الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى فيها بوجه أخص ، قال الله تعالى : (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [آل عمران : ٨٤] ، وقد خاطب الله تعالى في سورة البقرة الأمم كلها قائلاً : (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة : ١٣٦] ، وقد أمر الله تعالى في سورة النساء بالإيمان بالله ورسوله وجميع الكتب السماوية ، واعتبر إنكاره كفرًا بالله تعالى ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء : ١٣٦] .

وورد في القرآن الكريم ذكر أربعة كتب سماوية بأسماء صريحة ، فهناك ما عدا القرآن الكريم ذكر التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ، والزبور الذي نزل على داود عليه السلام ، والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، كذلك ذكر صحف إبراهيم ، وقد سميت التوراة بصحف موسى في موضع من القرآن الكريم ، وورد ذكر الصحف الأولى وزير الأولين .

ومن تعاليم الإسلام أن يؤمن الإنسان بهذه الكتب السماوية ، ويعتبرها كتباً إلهية ، فلا يكون المسلم بدون الإيمان بها مسلماً حقيقياً ، ومع الإيمان الإجمالي بجميع الكتب يجب أن يكون الإيمان الكامل بكتاب الله الأخير الكامل القرآن الكريم أن كل حرف من حروفه منزل من الله تعالى ، وقد نزل صدقاً وعدلاً ، قال الله تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) [الإسراء : ١٠٥] ، ومع هذين الأمرين أشار الله تعالى إلى أمر آخر يجب الإيمان به أيضاً أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر : ٩] .

ليس في العالم كتاب يدعي أصحابه أنه محفوظ تماماً ، وقد حُرِف كل كتاب ، وتناولته يد الناس بالحدف والزيادة بكل جراءة ، وظلوا يبدّلونه حسب أهوائهم وحاجاتهم ، فليس هناك كتاب يوجد في لغته التي أنزله الله فيها ، فمن مزايا القرآن الكريم وخصائصه أنه أنزل باللغة العربية ، وهو محفوظ فيها ، ويبقى بإذن الله إلى يوم القيامة ، فإذا حُرِفَ أحد أو غير فيه فلا تبقى الدنيا ، ولا ما كان لها ، قال تعالى : (إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتُهُ) [القيامة : ١٧ - ١٩] ، وقال : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [حم السجدة : ٤١ - ٤٢] .

من الأمور التي يجب الإيمان بها لمسلم الإيمان بالكتب السماوية ، وخاصة الإيمان بثلاثة أشياء من القرآن الكريم ، والاعتراف بها : أولاً أنه منزل من الله على آخر نبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وثانياً أنه نزل من دون تحريف ولا تعديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، وثالثاً أنه لا تناله يد التحريف إلى يوم القيامة ، فكما نزل يبقى إلى يوم القيامة .

الإيمان بالأنبياء والرسل :

الرسالة لغة : الإرسال ، واصطلاحاً : إرسال الأنبياء والرسل ، وليس معنى ذلك أن الأنبياء أنزلوا من السماوات ، وكانت سنة الله تعالى أنه اصطفى من الناس أحداً لإيصال كلامه إلى الناس ، وكلما كانت حاجة الإصلاح والتوجيه ماسة في قوم أو شعب أو ملة ، اصطفى الله رجلاً منهم ،

وجعله نبياً أو رسولاً ، وذكر القرآن الكريم مراراً وتكراراً أن الله انتخب نبياً من قوم كان يريد أن يبعثه فيهم ، وقد بعث نبي في كل زمن وفي كل شعب ، قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [الفاطر : ٢٤] .

بدأت هذه السلسلة من سيدنا آدم وسيدنا نوح عليه السلام ، حتى بعث الله تعالى في آخرهم خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من الاعتقاد في هؤلاء الأنبياء والمرسلين أنهم كانوا عباداً مرسلين ، بعثهم الله تعالى ، وأحبهم كثيراً ، وكانوا معصومين ، فلا يقولون ولا يعملون إلا بما أمرهم الله وأوحى إليهم ، وكانت تأتي إليهم هذه الأوامر والأحكام بواسطة سيدنا جبرئيل عليه السلام ، وكثير من الإلهامات ألهمهم إياها مباشرة ، أو أخبرهم في رؤياهم ، وقد تناول القرآن الكريم عدداً من الأنبياء عليهم السلام ، فيجب الإيمان بأنهم أنبياء أو رسل ، ومن لم يؤمن بهم رسلاً أو أنبياء فليسوا مسلمين ، وقد عُرف خمسة منهم بأولي العزم : (١) سيدنا نوح عليه السلام ، (٢) وسيدنا إبراهيم عليه السلام ، (٣) وسيدنا موسى عليه السلام ، (٤) وسيدنا عيسى عليه السلام ، (٥) وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر الله في آخر سورة البقرة تفاصيل الإيمان بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وإيمان المؤمنين ، قال الله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة : ٢٨٥] ، دلت الآية بكل صراحة على أنه لا فرق بين نبي ورسول في الإيمان به والاعتقاد له ، فمن شروط الإيمان بالله الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ، إلا أن هناك تفاضلاً وتفاوتاً في مراتب الأنبياء ودرجاتهم ، فضل الله بعضهم على بعض ، قال تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) [البقرة : ٢٥٣] .

عقيدة النبوة :

إن آخر الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثنا الله تعالى في أمته ، وهو سيد الأنبياء والمرسلين ، وقد شملت نبوته ورسالته العالم كله وإلى يوم القيامة ، وقد انتهت سلسلة الوحي إليه ، فلا ينزل

وحي بعده على أحد ، فإذا ادعى أحد أنه ينزل عليه الوحي ، أو يكون إلهامه بمنزلة الوحي ، ويكون اتباعه واجباً كان كذاباً وضالاً ، فلا بد لكل مؤمن من الإيمان بهذه العقائد المذكورة أدناه ، وهي تتدرج في عقيدة النبوة والرسالة ، ولا تكمل بدونها عقيدة النبوة ولا تصح .

عبد الله ورسوله :

(١) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله
(٢) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله ، وقد صرح به صلى الله عليه وسلم ، وأكد عليه قائلًا : إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا : عبد الله ورسوله (مسند الإمام أحمد : ٣٩٧ ، وصحيح البخاري : ٣٢٦١) ، وإن الكلمة التي استعملها الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي العبد ، قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [بنو إسرائيل : ١] ، ووردت كلمة العبد لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، قال تعالى في موضع : (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) [النجم : ١٠] ، وقال في موضع آخر : (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) [الجن : ١٩] ، وقال : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) [البقرة : ٢٣] .

وقد ذكر صلى الله عليه وسلم هنا العبودية قبل الرسالة لأن العبودية كلما كانت كاملة كمل الإنسان ، فإن كمال العبودية الذي حصل للنبي صلى الله عليه وسلم لم يحصل لأحد ، ولن يحصل أبداً ، لأن المكانة التي يحتلها النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ إليها أحد من الناس .

سيد الأنبياء :

(٣) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وهو سيد الأنبياء وإمام الرسل ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع (صحيح البخاري : ٧٩) ، وقال في حديث آخر : أنا سيد الناس يوم القيامة (صحيح مسلم : ٥٠١) ووردت في كنز العمال هذه الكلمات أيضاً : أنا سيد المرسلين إذا بعثوا (كنز العمال : ٣٢٠٤٣) .

(للحديث صلة)

المجتمع الأمريكي وانهاية الخلق

(في ضوء دراسة علمية حديثة)

الأستاذ الدكتور عبد الرحيم القدواني * ♦

إن الآيات الآتية من القرآن الكريم - كسائر آياته البليغة الباهرة - تكشف بوضوح وعمق كيف يزين الشيطان للإنسان أعماله السيئة ، حتى يقبل عليها مختاراً راضياً ، ويجعلها موضع اعتزاز وافتخار . وهذه الآيات جديرة بالتأمل ؛ بحيث يستبعد في الظاهر أن يُعرض الإنسان - وهو صاحب عقل وشعور وضمير - عن الخير عامداً ، ثم يُقبل على الشر بسرور وطمأنينة ، من غير أن يؤنبه ضميره ، أو يستشعر مسؤولية الآخرة ، أو يخشى ما يترتب على ذلك من فساد في أسرته ومجتمعه .

غير أن الواقع يشهد بأن الإنسان إذا غرق في أحوال المادية ، واستولى عليه سلطان الشيطان ، أمت بنفسه نور الإيمان والعقل والضمير ، وانهمك كلياً في المعاصي والآثام . فلا تردعه حينئذ تربية والديه ، ولا البيئة الأخلاقية التي نشأ فيها ، ولا علمه وثقافته ، ولا مكانته الاجتماعية ، عن السقوط في مهاوي الرذيلة والانغماس فيها . ومن إعجاز القرآن الكريم أنه صور هذه الحقيقة النفسية تصويراً دقيقاً ، وبين كيف تصبح المعاصي محبوبة مرغوبة عند الإنسان .

قال تعالى : (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام : ٦٣] ، وقال تعالى : (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران : ١٤] ، وقال تعالى : (فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [التوبة : ٣٧] ، وقال تعالى : (كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام : ١٠٨] ، وقال تعالى : (أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنِ اللَّهُ يُضِلِّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [فاطر : ١٨] .

وفي هذا السياق نعرض الدراسة البحثية الحديثة الآتية ، التي

* المدير الفخري لمركز نظامي لعلوم القرآن ، جامعة عليكرة الإسلامية .

♦ تعريب : الأستاذ رفيق أحمد رئيس السلفي ، عليكرة

أصدرها Pew Research Center ، وهو من أبرز المؤسسات العلمية المرموقة في الولايات المتحدة الأمريكية . وتشتمل هذه الدراسة على آراء الخبراء الأمريكيين خلال شهر مايو سنة ٢٠٢٥ م ، وهي تكشف عن طبيعة العقلية الأمريكية المعاصرة ، وأولويات المجتمع ، وأنماط الحياة السائدة فيه ، كما تبرز مواقف الناس من القضايا الأخلاقية وما يحدونه أو يرفضونه في حياتهم الاجتماعية .

وأهم ما يلفت النظر في هذا التحليل أنه يؤكد حقيقة ما قرره القرآن الكريم من أن الإنسان قد يختار طريق الشر بإرادته واختياره ، حتى يظنه - بسبب الغفلة واتباع الهوى - عين الحق والصواب ، فيقدم شهواته ورغباته النفسية على الإيمان والعقيدة ، وعلى ما تلقاه من تعليم وتربية ، بل وعلى مستقبل أبنائه وأحفاده . وتصبح حاله كحال إنسان فاقد الوعي ، لا يبالي بالأخلاق والقيم ، وإنما ينشغل دائماً بإشباع شهواته وتحقيق لذاته ، تصرفه الأهواء كما يُصرف الحيوان غير العاقل الذي لا يفكر في العواقب .

فلا تعاليم الإنجيل والكنيسة ، ولا أقوال الحكماء ، ولا ثمار التربية والتعليم ، ولا حتى الحرص على تقديم القدوة الحسنة للأبناء ، تستطيع أن تردعه عن الانغماس في سفاهة النفس وخبث الشهوات .

وإن آراء كثير من الأمريكيين المعاصرين حول القضايا الأخلاقية تُعدّ مثيرة للعبرة والاشمئزاز معاً . فوفقاً لهذه الدراسة يرى ١٩٪ من الناس أنه لا حرج في استعمال أدوية منع الحمل . ومن جهة أخرى ، فإن الاستعمال المفرط لهذه الأدوية في المجتمعات الغربية قد أدى - منذ القرن الماضي - إلى مشكلات سكانية واجتماعية خطيرة ؛ إذ تعاني المؤسسات التعليمية من قلة الأطفال ، وسوق العمل من نقص الأيدي العاملة المحلية ، مما يضطر تلك الدول إلى الاعتماد على المهاجرين الأجانب ، وهو ما يترتب عليه ظهور قضايا أخرى ، من أبرزها المحافظة على هوية البلاد وأمنها الثقافي والاجتماعي .

وقد بلغ الأمر في الولايات المتحدة وبريطانيا أن أشخاصاً من أصول هندية وباكستانية وصلوا - أو يوشك أن يصلوا - إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة .

إن التدخل في شؤون الفطرة والقدر يعكس نزعةً شاردةً نحو

الاستقلال المطلق عن سنن الله تعالى . ولا شك أن الرغبة في الذرية أمر فطري أودعه الله في النفوس ، وقد نقل القرآن الكريم أدعية الأنبياء عليهم السلام في طلب الولد . غير أن وسائل الإنجاب الحديثة ، مثل التلقيح الصناعي وتأجير الأرحام (Surrogacy / In vitro fertility) ، قد تحولت في العصر الحاضر إلى نشاط تجاري بحث ، حيث شاع استئجار الأرحام وبيع الحيوانات المنوية والبويضات وتنظيم عمليات الإنجاب على أساس مادي تجاري .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن التعقيدات القانونية المتعلقة بالنسب والميراث وما ينشأ عنها من إشكالات ، وإنما المقصود التنبيه إلى ما في ذلك من قبح أخلاقي . ومع هذا فإن ٩٨٪ من الأمريكيين لا يرون في هذه الممارسات أي إشكال أخلاقي أصلاً ، بل يعدونها مجرد مظهر من مظاهر التقدم الطبي ووسيلة فعالة للحصول على الأطفال . فلا يكادون يلتفتون إلى مشاعر المرأة التي يُستأجر رحمها ، ولا يبالون بمن يكون صاحب الحيوان المنوي أو في أي رحم يُزرع ، وإنما المهّم عندهم تحقق الرغبة في الحصول على طفل ، وكفى بذلك غاية ومبرراً .

وأما الخمر ، فوصفها بأنها " أمُ الخبائث " ليس مجرد تعبير بلاغي ، بل هو حقيقة يشهد بها الواقع ؛ لما يترتب عليها من أضرار صحية ومالية واجتماعية ونفسية لا تُحصى . وفي العصر الحديث ازداد خطرها بسبب حوادث القيادة المميتة تحت تأثير السكر . ومع ذلك فإن ٤٨٪ من الأمريكيين لا يرون في شرب الخمر أي قضية أخلاقية تستحق المنع أو التقييد ، ولذلك جاءت القوانين والسياسات العامة معبرة عن هذا التوجه الشعبي المؤيد لتعاطيها . فمهما كان حكم الله تعالى في الإنجيل أو القرآن الكريم ، فإن هيمنة الرأي الديمقراطي عندهم جعلت شرب الخمر أمراً مشروعاً ، بل رمزاً من رموز الحضارة والمدنية .

وكذلك فإن الحرص المحموم على جمع المال لا يُعد في نظر كثير من الأمريكيين أمراً مذموماً على الإطلاق ؛ إذ يرى ١٨٪ منهم أنه ينبغي تحصيل الثروة بأقصى قدر ممكن ، ولو كان ذلك على حساب المبادئ والقيم ، غير مباليين بمعاني القناعة أو الزهد أو الفقر والغنى المشروع . فهم لا يعتبرون الجشع المالي أصلاً قضية أخلاقية . ولسنا هنا بصدد

استعراض المفاصد الناجمة عن هذا التهاافت على الثروة ، وإنما المقصود الإشارة إلى أن نسبة معتبرة من الأمريكيين قد انغمست في سياق المال انغماساً كاملاً ، غافلة عن الدين والأخلاق وسائر القيم ، بل ويعد ذلك عملاً مشروعاً وجديراً بالثناء .

لا شك أن الطلاق - مع إباحته عند الحاجة - من أبغض الأمور ، وتكون آثاره الاجتماعية والنفسية بالغة الخطورة ؛ إذ يؤدي في كثير من الأحيان إلى تفكك الأسر ، وامتداد الخصومات والأحقاد بين العائلات جيلاً بعد جيل . كما يعاني أبناء المطلقين معاناة نفسية وتربوية عميقة ، وتجد المرأة المطلقة نفسها في كثير من الأحيان أمام حياة ضيقة مليئة بالمشاق ، وكذلك الرجل لا يسلم من الأضرار المالية والعاطفية والنفسية التي يخلفها الطلاق .

ومع كل هذه الآثار السلبية ، فإن ٦٧٪ من الأمريكيين لا يرون في الطلاق أي عيب أخلاقي ، ولا يعتبرونه قضية ذات بُعد أخلاقي أصلاً ، بل يعدون الرجل والمرأة أحراراً استقلالاً تاماً في اتخاذ قرار الطلاق ، دون اكتراث بما يترتب عليه من مشكلات اجتماعية وأسرية . ومنذ زمن بعيد أخذت مؤسسة الزواج في الغرب تفقد مكانتها وقيمتها ، وهذه النظرة إلى الطلاق ليست إلا نتيجة مباشرة لاستهانة المجتمع بعقد الزواج وبتقليل شأنه .

وأما الماريجوانا (القنب المخدر) ، فهي مادة مسكرة ومخدرة ، ومع ذلك فإن ٦٧٪ من الأمريكيين لا يرون في استعمالها أي حرج ، بل يؤيدون انتشار استخدامها برضا وقناعة . ولا شك أن انتشار المخدرات إلى جانب شرب الخمر يمثل دليلاً آخر على تزيين الأعمال السيئة وتحسينها في أعين الناس ، حتى تُصاب العقول بالخلل وتموت الحساسية الأخلاقية .

فأي أهداف سامية يمكن أن تتجه إليها أجيال الشباب المدمنة على المخدرات ؟ وأي بناء يمكن أن تقدمه لأوطانها ومجتمعاتها ؟ وكيف تستطيع أن تؤسس مجتمعا سليماً أو تحمل هم الإنسانية وقيمها ؟ غير أن هذه الأسئلة المصيرية تتوارى خلف سطوة الشهوات وتزيين الباطل . وهكذا يسير هذا المجتمع بخطى مخيفة نحو تدمير ذاته ، دون حاجة إلى عدو خارجي يغزوه ، إذ يبدو كأنه مصرٌّ على الانتحار الحضاري بأيديه . ولا يجيز أي دين أو شريعة أو منظومة أخلاقية الاعتداء على الأطفال الأبرياء العاجزين وضربهم بعنف . ومن المفترض أن يكون مثل

هذا السلوك مرفوضاً تماماً في مجتمع يرفع شعارات حقوق الإنسان ويتفاخر بالتحضر والتعليم . غير أن الحقيقة الصادمة – وفق هذه الدراسة – أن ٥٧٪ من الأمريكيين يؤيدون الضرب الشديد للأطفال .

والمفارقة العجيبة أن المجتمع الذي يثير الضجيج ضد ما جاءت به الشريعة الإسلامية من إجراءات تأديبية محدودة في حق الزوجة الناشز ، ويهاجم الآية الكريمة من سورة النساء ، ويصِف الإسلام والشريعة بالوحشية وعدم الإنسانية ، يحمل في داخله نزعة قاسية تجيز ممارسة العنف الجسدي ضد الأطفال الصغار العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم ، ويعد ذلك أمراً مقبولاً لا إشكال فيه .

إن قبح القمار وفساده أوضح من الشمس في رابعة النهار ؛ فهو – كتعاطي الخمر – من أكبر منابع الشرور الاجتماعية ، إذ أن الإدمان عليه لا يدمر الأفراد فحسب ، بل يقود إلى خراب الأسر وتفكك المجتمعات بأسرها . ومع ذلك فإن ٧٠٪ من الأمريكيين الذين يُنظر إليهم على أنهم أهل فكر ومعرفة لا يرون في المقامرة أي بأس ، بل يعدونها من مظاهر الحرية الشخصية ، ويرون الاعتراض عليها نوعاً من التشديد والرجعية والتخلف . وأمام هذا الانحراف الفكري يقف العقل حائراً مذهولاً .

والمجتمع الغربي – والأمريكي خاصة – يرفع شعار الحرية المطلقة ، مع أن الحياة والموت في الأصل خارج سلطان الإنسان واختياره . ومع هذا فإن ٦٣٪ من الأمريكيين يرون أن من حق كل إنسان ، بعد استشارة طبيبه ، أن يختار لنفسه الموت . وقد أصبحت هذه الصورة الحديثة من صور الانتحار تلقى قبولاً واسعاً لدى قطاعات من المجتمع الأمريكي ، بعدما أقتنعهم الشيطان بأنهم المالكون المطلقون لحياتهم ، وأن لهم الحق في إنهاؤها متى شاءوا وكيف شاءوا .

وأما اللواط والشذوذ الجنسي ، فقد بلغ من شيوعه وترسيخه في المجتمع الغربي والأمريكي أن ٦٠٪ من الأمريكيين لا يرون فيه أي إشكال أخلاقي أو اجتماعي ، بل يعتبرونه خياراً شخصياً متاحاً لكل فرد . وهم لا يبالون بما قد يترتب عليه من آثار مدمرة على الأسرة ، والعلاقات الفطرية بين الجنسين ، وبنية المجتمع ، ومستقبل السكان ، وإنما ينحصر اهتمامهم في إشباع الأهواء والنزوات غير الفطرية .

وإذا كان الزنا مرتبطاً – من جهة ما – بغريزة فطرية وشهوة جبلية ، فإن اللواط يفتقد حتى هذا البعد الفطري ، ومع ذلك يُدافع عنه

ويُروَّج له وكأنه تعبير طبيعي مشروع عن المشاعر الإنسانية .
كما تتجلى عقلية الاستقلال الكامل عن القيم الدينية والأخلاقية في قضية الإجهاض أيضاً ؛ إذ يرى ٥٢٪ من الأمريكيين أن الإجهاض فعل فردي محض ، لا علاقة له بالأخلاق أو الدين أو مصلحة المجتمع والدولة . فهم يعتقدون أن مصير الجنين ملك خالص لوالديه ، وأن وجوده متوقف على إرادتهما ورغبتهما ، وقد انعكس هذا التصور على القوانين السائدة التي تجعل قرار الإجهاض شأنًا شخصيًا بحتاً ، لا مدخل للدين أو الأخلاق فيه .

لقد أصبح المحتوى الفاحش والعارى - من صور وأفلام وكتابات إباحية - متاحا اليوم بوفرة عبر شبكة الإنترنت ، بل وفي الهواتف المحمولة التي يحملها الجميع ، دون عناء أو حواجز تُذكر ؛ فبمجرد ضغطة يسيرة يصبح هذا الفساد الأخلاقي في متناول اليد . غير أن سهولة الوصول إليه لا تنقص شيئا من قبحه وخطورته . ومع ذلك فإن ٧٤٪ من الأمريكيين المتأثرين بالفكر الإباحي لا يرون في هذا المحتوى أي حرج أو مشكلة .

ولا يكاد هؤلاء يلتفتون إلى ما يترتب على هذا الانفلات الجنسي من آثار مدمرة على الناشئة ، وما يسببه من اضطراب أخلاقي وجنسي ، وما يؤدي إليه من تفكك الأسرة واختلال النظام الاجتماعي ، بل إن غايتهم القصوى تتحصر في التلذذ وإشباع الشهوات .

وخلاصة الأمر أن المجتمع الأمريكي المعاصر يعاني فساداً أخلاقياً عميقاً ، وأن كثيراً من أفراده يشاركون - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - في دعم هذه الانحرافات والجرائم الأخلاقية . والنفس البشرية - إذا تركت لأهوائها - شديدة الميل إلى الأنانية وتبرير الشهوات ؛ فهي تسوغ هذه الرذائل باسم الحرية ، دون أن تدرك ما سيدفعه المجتمع والأجيال القادمة من ثمن باهظ لهذه الحرية المنفلتة .

وهذه العقلية هي ذاتها التي ترى نفسها مكتفية بعقلها ، مستغنية عن كل هداية ربانية ، منكرة لأي سلطة عليا فوق الإنسان ، معرضة عن كل بُعد روحي ، غارقة في وهم الاكتفاء الذاتي والثقة المفرطة بالنفس . وقد تشربت المادية وحب الدنيا والجشع المالي حتى سرت في عروقها ، فأصبحت بعيدة عن الإيمان والعقيدة ، بل وعن الأخلاق والقيم نفسها . فهي لا تبني مواقفها وآراءها إلا على أساس المنفعة الشخصية والرغبات النفسية ، فتقبل من الأفكار ما يوافق أهواءها وترفض ما

يخالفها . أما الإيمان بالآخرة ، واستشعار المسؤولية ، ومعرفة الله ، والبحث عن الحق ، فكل ذلك يكاد يغيب عن حياتها ، إذ لا ترى غايتها إلا في التمتع المادي والإسراف في اللذات .

ومن أخطر ما ينبغي التنبه له - إلى جانب الحزن والنقد لهذا الإفلاس الأخلاقي في الفكر الغربي المادي والإباحي - أن هذه التوجهات نفسها قد تنتقل قريباً إلى مجتمعاتنا وعقول أبنائنا . فالمجتمع عندنا يسير بخطى متسارعة نحو التقليد الأعمى للغرب ، ومن ثم يخشى أن تستولي هذه المعايير الأخلاقية المنحرفة على عقول شبابنا وقلوبهم ، وحينئذٍ لن يبقى لنا إلا الندم والحسرة .

ومن هنا تقع على عاتق العلماء والدعاة والأئمة والخطباء والآباء مسؤولية عظيمة ؛ إذ يجب عليهم أن يدركوا خطورة الموقف ودقته ، وأن يعتنوا عناية خاصة بتربية أبنائهم ومن تحت أيديهم ، فيبعدوهم عن التعلق بالدنيا ، والغفلة عن الله ، والاستخفاف بالشرعية ، والانجراف وراء العادات الفاسدة والتقاليد الباطلة .

كما ينبغي لهم متابعة أفكار أبنائهم وأنماط حياتهم واهتماماتهم ، وتوجيههم بالحكمة والشفقة إلى الصراط المستقيم ، مع التأثير عليهم بالقدوة الحسنة والتقوى والاستقامة . وينبغي توعيدهم على التذكر والتفكير والتعقل ، وألا يقتصر تعاملهم مع القرآن الكريم على مجرد التلاوة ، بل يُربّوا على تدبره وفهم معانيه والعمل به .

وكذلك يجب اجتناب الإسراف والمادية في حياتنا العملية ، والدعوة إلى البساطة والعيش الهادف ، والالتزام الصارم بالحلال والحرام ، وتربية الأبناء على ذلك ، مع غرس معاني طلب الرزق الحلال ، والقناعة ، والتوكل على الله تعالى .

فإن لم نتصدى لتيار التغريب والانبهار بالغرب ، فإن عقائد أجيالنا القادمة وأخلاقها وأفكارها ستصبح نسخة مطابقة لما كشف عنه هذا التقرير والدراسة .

- اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي ، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي .
- اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ خَزْيِكَ ، وَكَشْفِ سِتْرِكَ ، وَنَسْيَانِ ذِكْرِكَ ، وَالْأَنْصِرَافِ عَنْ شُكْرِكَ .
- اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَأَعِزَّنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا .

الذات الحقيقية والذات الزائفة

في ضوء آيات القرآن الكريم

(دراسة تحليلية)

د . ماجد هاشم كيلاني *

المقدمة :

يُعدّ مفهوم الذات من أهم المفاهيم التي شغلت الفكر الإنساني والديني ، إذ ترتبط بهذا المفهوم هوية الإنسان وسلوكه واتجاهاته في الحياة ، وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بالذات الإنسانية ، فبين جوانب صلاحها وانحرافها ، ودعا إلى تزكيتها والارتقاء بها . وفي ضوء آيات القرآن الكريم يمكن التمييز بين ما يمكن تسميته بـ " الذات الحقيقية " التي تتسجم مع الفطرة السليمة والصدق الداخلي ، و " الذات الزائفة " التي تقوم على التناقض بين الظاهر والباطن ، والتأثر بالمظاهر الخارجية ، ومن هنا تهدف هذه الدراسة الوجيزة إلى توضيح مفهوم كل من الذات الحقيقية والذات الزائفة ، وبيان الفروق بينهما ، واستعراض ملامحهما في ضوء القرآن الكريم ، وذلك من خلال الأفكار الآتية :

أولاً : المقصود بالذات الحقيقية .

ثانياً : المقصود بالذات الزائفة .

ثالثاً : تمييز الذات الحقيقية عن الذات الزائفة .

رابعاً : الذات الحقيقية في ضوء آيات القرآن الكريم .

* دكتوراه في القانون الخاص – شعبة فلسفة القانون وتاريخه ، جمهورية مصر العربية
الجهة : باحث حر ، لبريد الإلكتروني : magedhashemkelan@law@gmail.com ،
١٩٢٣ - ٥٢١٠ - ٠٠٠٩-٠٠٠٩ <https://orcid.org/0009-0009-5210-0009>

خامساً : الذات الزائفة في ضوء آيات القرآن الكريم .

وفيما يلي شرح وجيز لكل فكرة مما سبق :

أولاً : المقصود بالذات الحقيقية^١ :

الذات الحقيقية (True Self) هي الجانب الأصيل من الإنسان الذي يعبر عن مشاعره واحتياجاته وقيمه الداخلية بشكل طبيعي وصادق دون تزييف أو محاولة لإرضاء الآخرين ، حيث تمثل الذات الحقيقية ما يشعر به الإنسان فعلاً وما ينسجم مع هويته العميقة مثل : الرغبات الشخصية ، والميول ، والأفكار التي تنبع من الداخل دون ضغط اجتماعي ، وهي ترتبط - إلى حد كبير - بالشعور بالحرية الداخلية والراحة النفسية والانسجام مع الذات .

كما أن عيش الإنسان بذاته الحقيقية يمنحه القدرة على اتخاذ قرارات صائبة تتوافق مع قيمه ومبادئه بعيداً عن تأثير الضغوط الخارجية أو رغبة إرضاء الآخرين ، فالاستماع إلى الذات الحقيقية يمكن الإنسان من تحديد أهدافه الحقيقية واختيار المسارات التي تحقق له الرضا الداخلي مما يعزز شعوره بالمسؤولية عن حياته وقراراته ، ويزيد من ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة تحديات الحياة بثبات .

وتساعد الذات الحقيقية الإنسان على بناء علاقات صحية ومستقرة ، لأنها تقوم على الصدق والشفافية في التعامل مع الآخرين ، فالشخص الذي يعيش صادقاً مع نفسه يستطيع التعبير عن مشاعره واحتياجاته بوضوح ، ويقبل مشاعر الآخرين كما هي ، مما يؤدي إلى علاقات قائمة على الثقة المتبادلة والاحترام ، ويقلل من الصراعات الناتجة عن التظاهر أو الخداع ، ويجعل الحياة الاجتماعية أكثر انسجاماً وراحة نفسية .

James F. Masterson - The Narcissistic and Borderline^١
Disorders: An Integrated Developmental Approach -
- U.S.A - ١٩٨١ - p ١٠٤Brunner/Mazel

وعبد الودود أحمد الزبيدي وحسين عمر سليمان الهروتي - علم النفس الرياضي -
دار الأكاديميين للنشر والتوزيع - عمان / الأردن - ٢٠٢١م - ص ٥٠ ، وماجد
موريس إبراهيم - الإرهاب : الظاهرة وأبعادها النفسية - دار الفارابي للنشر والتوزيع
- بيروت / لبنان - ٢٠٠٥م - ص ١٠٨ وما بعدها .

ومن الأمثلة الواقعية الدالة على الذات الحقيقية أن يعبر شخص عن رأيه بصراحة مع احترام آراء وأشخاص الآخرين ، أو يختار مهنة تتوافق مع ميوله وشغفه الداخلي حتى لو كانت غير مألوفة اجتماعياً ، أو يعبر عن فرحه وحزنه بطريقة طبيعية دون تزييف ، هذه التصرفات تعكس الانسجام مع الذات والشعور بالسلام الداخلي .

ثانياً : المقصود بالذات الزائفة^١ :

الذات الزائفة (False Self) هي الصورة التي يصنعها الإنسان عن نفسه ليتوافق مع توقعات الآخرين أو المجتمع حتى لو كانت لا تعكس حقيقته الداخلية ، وتشكل هذه الصورة غالباً نتيجة التربية الصارمة ، أو الخوف من الرفض ، أو الحاجة إلى القبول الاجتماعي ، وغالباً ما تجعل هذه الصورة الشخص يتصرف بطريقة لا تشبهه فعلاً ، ويخفي مشاعره الحقيقية أو يباليغ في إظهار صفات معينة ليحصل على التقدير أو الحماية .

وقد يؤدي التمسك بالذات الزائفة إلى شعور دائم بعدم الراحة والتوتر النفسي ، وذلك لأن الإنسان يعيش بين ما يريد داخلياً وما يفرضه عليه المجتمع أو توقعات الآخرين ، هذا الصراع الداخلي غالباً ما ينعكس على سلوكياته اليومية ، فيصبح متردداً أو متناقضاً ، ويشعر بالإرهاق النفسي نتيجة الجهد المستمر للحفاظ على صورة غير حقيقية ، مما يقلل من قدرته على التعبير عن ذاته الحقيقية واتخاذ قرارات صائبة تعكس رغباته الحقيقية فضلاً عن أن استمرار الإنسان في اتباع الذات الزائفة يمكن أن يؤثر بالسلب على علاقاته مع الآخرين ، إذ قد يشعر الناس حوله بعدم الصدق أو التوتر من تصرفاته المتغيرة ، ويصعب على الشخص بناء علاقات حقيقية قائمة على الثقة والاحترام المتبادل ، ومن هنا يظهر أثر الذات الزائفة ليس فقط على الداخل النفسي للفرد ، بل على محيطه الاجتماعي أيضاً ، مما يجعل التخلص منها والعودة إلى الصدق مع الذات

James F. Masterson - The Narcissistic and Borderline Disorders: An Integrated Developmental Approach – p ١٠٤

وعبد الودود أحمد الزبيدي وحسين عمر سليمان الهروتي - علم النفس الرياضي - ص ٥٠ ، وماجد مورييس إبراهيم - الإرهاب : الظاهرة وأبعادها النفسية - ص ١٠٨ وما بعدها .

أمرأ ضرورياً لتحقيق استقرار نفسي واجتماعي .
ومن الأمثلة الواقعية الدالة على الذات الزائفة أن يخفي الشخص
حزنه أو غضبه ليظهر دائماً سعيداً ، أو يتظاهر بالاهتمام بأشياء لا يحبها
فقط ليحصل على إعجاب الآخرين ، أو يبالغ في التواضع أو التظاهر
بالقوة ليخفي شعوراً بالضعف ، هذه التصرفات تجعل الشخص يبدو
مختلفاً عن واقعه الداخلي .

ثالثاً : تمييز الذات الحقيقية عن الذات الزائفة :

يظهر التمييز بين الذات الحقيقية والذات الزائفة في مدى شعور
الإنسان بالانسجام الداخلي ، فالذات الحقيقية ترتبط بالصدق مع الذات حتى
لو كان ذلك لا يريح الآخرين أحياناً ، بينما تعتمد الذات الزائفة على التكيف
المفرط مع الخارج على حساب الداخل ، فالشخص الذي يعيش بذاته الحقيقية
يشعر بالاتساق والهدوء الداخلي ، أما من تغلب عليه الذات الزائفة فقد يشعر
بالقلق أو الإرهاق لأنه يحاول الحفاظ على صورة لا تعكسه فعلاً .

ومع مرور الوقت ، يمكن أن يزداد هذا التباين وضوحاً في حياة
الإنسان ؛ فكلما اقترب من ذاته الحقيقية أصبح أكثر قدرة على اتخاذ
قرارات تعبر عنه بصدق ، وتقل حاجته إلى إرضاء الآخرين على حساب
راحته النفسية ، أما إذا استمر في الاعتماد على الذات الزائفة ، فقد يجد
نفسه عالقاً في دوائر من التوتر والتردد ، لأنه يعيش بين ما يشعر به فعلاً
وما يحاول إظهاره للناس ، مما يؤثر على استقراره النفسي ، ويضعف
إحساسه بالرضا عن حياته .

وبالنظر إلى هذا التباين ، يمكن فهم أن المشكلة لا تكمن في "
الاختلاف بين الداخل والخارج " بحد ذاته ، بل في استمرار هذا الانفصال دون
وعي أو مراجعة للنفس ، فكلما ازدادت الفجوة بين ما يشعر به الإنسان وما
يقدمه للآخرين ، ضعفت قدرته على التكيف النفسي الصحي ، وبدأت تظهر
آثار ذلك في شكل ضغط داخلي دائم وصراع بين القيم الشخصية والتوقعات
الاجتماعية ، لذلك فإن إدراك هذا التفاوت يعد خطوة أولى نحو استعادة
التوازن الداخلي وإعادة بناء صورة أكثر صدقاً مع الذات .

ومن هنا تأتي أهمية الصدق مع النفس كعملية مستمرة ، وليست

لحظةً عابرةً ، حيث يحتاج الإنسان إلى مراجعة دوافعه وسلوكياته باستمرار للتأكد من أنها تعكس حقيقته لا مجرد استجابة للبيئة المحيطة ، فكلما زادت قدرة الفرد على التعبير عن ذاته الحقيقية بشكل تدريجي ومتوازن ، زادت درجة انسجامه النفسي ، وانخفضت حاجته إلى التظاهر أو إخفاء مشاعره ، مما يقوده في النهاية إلى حياة أكثر استقراراً ورضاً داخلياً .

رابعاً : الذات الحقيقية في ضوء آيات القرآن الكريم :

يدعم القرآن الكريم الذات الحقيقية بمعنى الصدق مع الذات والاتساق الداخلي ، لكنه يعبر عنها بمفاهيم إيمانية وأخلاقية مثل : الصدق ، والإخلاص ، وعدم النفاق ، ومجاهدة النفس ، كما يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى الصدق مع النفس والرجوع إلى الفطرة السليمة التي فطره الله عليها بعيداً عن التكلف والنفاق ، ويؤكد أن الإنسان إذا انسجم مع هذه الفطرة عاش حالة من الطمأنينة والاستقرار الداخلي ، وهذا ما يمكن فهمه كقرب من " الذات الحقيقية " ، وفي ذلك يقول تعالى : (فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)^١ ، أي أن الأصل في الإنسان هو الاستقامة الداخلية قبل أن تفسدها المؤثرات الخارجية .

ويدعو القرآن الكريم الناس إلى الإخلاص وصدق النية كما جاء في قوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)^٢ ، وهذا ما يعكس توافق الداخل مع الظاهر ، كما يربط القرآن بين صفاء النفس والسكينة القلبية ، وهذا ما يظهر عندما يكون الإنسان صادقاً مع ذاته ومع ربه ، وفي ذلك يقول تعالى : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^٣ ، فهذه الطمأنينة هي نتيجة انسجام الداخل وعدم التناقض بين الظاهر والباطن ، وهذا هو جوهر الذات الحقيقية .

ويؤكد القرآن كذلك على مسئولية الإنسان في تزكية نفسه وتنقيتها من التزييف الداخلي والصفات السلبية ، ولعل هذا ما يبين في

^١ سورة الروم : رقم الآية : ٣٠ .

^٢ سورة البينة : رقم الآية : ٥ .

^٣ سورة الرعد : رقم الآية : ٢٨ .

قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) ^١ ، أي أن النجاح الحقيقي مرتبط ببناء النفس على الصدق والنقاء لا على التظاهر والخداع ، ومن المعاني المهمة أيضاً أن القرآن الكريم يفرض ازدواجية الشخصية ، ويدعو إلى الاستقامة الظاهرة والباطنة ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ^٢ ، فالاستقامة هنا تعني توافق السلوك الخارجي مع الإيمان الداخلي دون تناقض أو تصنع .

وانطلاقاً من هذه المعاني القرآنية يتضح أن مفهوم " الذات الحقيقية " لا يقوم على مجرد التعبير الحر عن المشاعر أو الرغبات ، بل يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء داخلي متوازن يجمع بين الإيمان والوعي الذاتي والسلوك المستقيم ، فالذات في منظور القرآن ليست حالة نفسية منفصلة عن القيم ، وإنما هي كيان يُهذَّب ويُراقب ويُوَجَّه باستمرار نحو الكمال الأخلاقي والروحي ، ومن ثم فإن الاتساق الداخلي الذي تشير إليه النصوص القرآنية هو نتيجة مباشرة لعملية " تزكية " واعية يتحقق فيها الانسجام بين ما يؤمن به الإنسان وما يفعله ، وبين ما يظهره وما يخفيه ، مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق الطمأنينة الحقيقية والاستقرار النفسي العميق .

خامساً : الذات الزائفة في ضوء آيات القرآن الكريم :

يرفض القرآن الكريم الازدواجية والتظاهر بما ليس في القلب ، ويذم " النفاق " الذي هو أقرب صورة لما يُشبهه " الذات الزائفة " كما جاء في قوله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) ^٣ ، أي أن الإنسان الذي يعيش بصورة غير صادقة مع نفسه يقع في اضطراب داخلي وخداع ذاتي ، ويؤكد القرآن خطورة التظاهر بالإيمان مع إخفاء ما يخالفه في القلب ، وفي ذلك يقول تعالى : (وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ^٤ ، وتعكس هذه الآية القرآنية الكريمة صورة واضحة لعدم الاتساق بين القول والحقيقة الداخلية ، وهذا هو

^١ سورة الشمس : رقم الآيتين : ٩ - ١٠ .

^٢ سورة فصلت : رقم الآية : ٣٠ .

^٣ سورة البقرة : رقم الآية : ٩ .

^٤ سورة البقرة : رقم الآية : ٨ .

جوهر ما يُشبه الذات الزائفة .

ومن صور رفض القرآن لما يمكن اعتباره " الذات الزائفة " ذمُّ الرياء ، وهو أن يُظهر الإنسان الخير للناس بينما يخفي غير ذلك في داخله ، قال تعالى : (يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)^١ ، وفي ذلك إشارة إلى أن العمل إذا فقد الصدق الداخلي تحول إلى مظهر خارجي بلا قيمة حقيقية ، وذلك لأنه لا يعكس حقيقة النفس ، كما يصف القرآن حالة من الانفصال بين القول والعمل ، وهذا من أبرز مظاهر التناقض الداخلي ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)^٢ ، وتؤكد هذه الآية رفض السلوك الذي يقوم على التظاهر وعدم الصدق مع الذات ، كما يبين القرآن أن هذا النوع من التناقض لا يضر إلا الإنسان نفسه ، إذ يعيش حالة من الاضطراب وفقدان الطمأنينة ، وفي ذلك يقول تعالى : (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)^٣ ، في إشارة إلى أن الانحراف الداخلي يتفاقم إذا لم يُعالج بالصدق والإصلاح .

ويبين القرآن أيضاً أن من صفات المنافقين التذبذب وعدم الثبات ، وفي ذلك يقول تعالى : (مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ)^٤ ، وهو وصف لحالة داخلية مضطربة تعكس غياب الهوية النفسية الواضحة ، وتعد هذه السمة من أبرز سمات ما يمكن تسميته بالذات الزائفة ، ويؤكد القرآن كذلك أن الله يعلم حقيقة ما في القلوب ، وليس المظهر الخارجي فقط ، قال تعالى : (قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ)^٥ ، (وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)^٦ ، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^٧ ، (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ

^١ سورة النساء : رقم الآية : ١٤٢ .

^٢ سورة الصف : رقم الآيتين : ٢ - ٣ .

^٣ سورة البقرة : رقم الآية : ١٠ .

^٤ سورة النساء : رقم الآية : ١٤٣ .

^٥ سورة آل عمران : رقم الآية : ٢٩ .

^٦ سورة طه : رقم الآية : ٧ .

^٧ سورة ق : رقم الآية : ١٦ .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ^١ ، مما يدل على أن الاعتماد على المظهر دون الجوهر لا قيمة له في الميزان القرآني .

وبذلك يمكن فهم " الذات الحقيقية " في القرآن على أنها النفس المتصالحة مع فطرتها ، الصادقة في نيتها وسلوكها ، المنسجمة بين داخلها وخارجها ، والتي تسعى إلى التزكية والطمأنينة بدلاً من التظاهر والتكلف ، وبهذا المعنى فإن " الذات الحقيقية " في المنظور القرآني ليست مجرد التعبير عن الرغبات دون قيود ، بل هي النفس الصادقة المنسجمة مع الفطرة السليمة والقيم الأخلاقية ، بينما تقترب " الذات الزائفة " من النفاق والتكلف ، وازدواجية المعايير والسلوكيات .

الخاتمة :

في ختام هذا المقال يتضح أن القرآن الكريم يقدم تصوراً عميقاً ودقيقاً للنفس الإنسانية ، حيث يدعو إلى الصدق مع الذات ، وتزكية النفس ، وتحقيق الانسجام بين الظاهر والباطن ، وهذا ما يعبر عن جوهر الذات الحقيقية ، وفي المقابل يحذر من مظاهر النفاق والرياء والازدواجية التي تعكس ما يمكن وصفه بالذات الزائفة لما لها من أثر سلبي على استقرار الإنسان الداخلي وسلوكه الخارجي ، ومن خلال هذا التصور القرآني يبين أن طريق السعادة الحقيقية يكمن في الصدق مع النفس ، والالتزام بالقيم الإيمانية التي تحقق التوازن النفسي والطمأنينة القلبية .

قائمة المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
 ٢. عبد الودود أحمد الزبيدي وحسين عمر سليمان الهروتي - علم النفس الرياضي - دار الأكاديميين للنشر والتوزيع - عمان / الأردن - ٢٠٢١م .
 ٣. ماجد موريس إبراهيم - الإرهاب - الظاهرة وأبعادها النفسية - دار الفارابي للنشر والتوزيع - بيروت / لبنان - ٢٠٠٥م .
 ٤. المرجع الأجنبي الوارد بالدراسة :
- * James F . Masterson - The Narcissistic and Borderline Disorders: An Integrated Developmental Approach - Brunner/Mazel - U.S.A ١٩٨١

^١ سورة الروم : رقم الآية : ٧ .

التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية (الحلقة الأولى)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

في الفترة ما بين ١٠ - ١٢ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ١١ - ١٣ مارس ٢٠٠٦م ، عقد مجمع الفقه الإسلامي (الهند) في دار العلوم الصديقية ، ميسور بولاية كرناتكا (الهند) الندوة الفقهية الخامسة عشرة حول موضوع " التأمين الصحي " ؛ ولكن نظراً إلى تغير الظروف والأحوال والبيئات قد أحس بإعادة النظر من منظور الشرعي الإسلامي فيه ؛ فقد تقرر أن يكون من موضوعات الندوة الفقهية الرابعة والثلاثين باعتماد مجمع الفقه الإسلامي (الهند) لإعادة النظر في هذا الموضوع ، ليجري النقاش العلمي في هذا المؤتمر الفقهي ، ويمعن النظر أصحاب العلم وأرباب الإفتاء الباحثون الإسلاميون المحققون من جديد ، ولا بد أن يكون محط أنظارهم ويتركز نقاشهم على أنه يمكن تغيير الرأي المسبق وما قرره العلماء العباقر من قبل فيه في ضوء الظروف الراهنة ، وهل تمس الحاجة الملحة الحاضرة السائرة لتغيير جزئي أو كلي فيه أم لا ؟ والظروف الراهنة هي كما جاء في ورقة الاستفسار " أن الأمر المهم أنه كلما مضى الزمن ازدادت تكاليف العلاج ارتفاعاً ، حتى أصبح العلاج فوق طاقة الفقراء ، بل وأصبح مرهقاً أيضاً لأصحاب الدخل المتوسطة ، ووفقاً لأحد التحليلات أن تكاليف العلاج قد ارتفعت في الوقت الحاضر ، أي في عام ٢٠٢٥م ، ارتفاعاً كبيراً بالنسبة لعام ٢٠٠٥م ، ونظراً إلى هذه الأوضاع الراهنة ، رخصت بعض الهيئات الفقهية الجماعية في الهند التأمين الصحي ، وقرار مجمع الفقه الإسلامي الهند يخالفه ؛ لأجل ذلك يكثر الناس من الاستفسار عن هذه المسألة ، وهم يضطربون ولا يدرون ما يفعلون بسبب اختلاف الآراء فيها ؛ فيرجو مجمع الفقه الإسلامي الهند منكم الأفاضل بإبداء الرأي الذي ينبغي اعتماده في الوقت الحاضر بشأن هذه المسألة ، نظراً إلى أحوال الناس القاسية

* عميد كلية البحث والتحقيق : جامعة العلوم ، غرهما - غجرات .

المذكورة أعلاها ، وإلى القاعدة الفقهية : "الضرورات تبيح المحظورات" ، مع غضّ النظر عن حقيقة أن التأمين في صورته التركيبية يشتمل على الربا والقمار وغيرهما من المحظورات الشرعية ، ولا يخفى عليكم أن هذه المسألة بالغة الأهمية في هذا الوقت وذات صلة مباشرة بحياة الناس العملية ، فنأمل أن تتفضلوا بإرشادنا فيها بعد دراسة عميقة ونظريّة دقيق . ومن المناسب قبل بيان حكم التأمين الصحي أن نلقي أولاً الضوء على طريقة عمله والتعريف به بإيجاز ، ثم نتحدث بشيء من التفصيل عن حكمه ، ونقاش فيما إذا كانت الظروف قد تغيرت فعلاً واقعياً بحيث تستدعي إعادة النظر في هذا الموضوع ، وتتقاضى من أصحاب الإفتاء وأهل العلم أن يعيدوا النظر في الرأي المسبق بهذا الصدد ، وهل يمكن ويسع أن يرخص ويجوز ، أو الناس ينخدعون ويتغرون وليست حاجة إلى إعادة النظر فيه ؟

وذلك أننا نعيش في عصر التكنولوجيا المتقدمة ، مثل تقنية الذكاء الاصطناعي (AI) ، التي تتمتع بقدرات كبيرة على التزييف والتزوير ، ولا يزال حتى الآن لا يترك فرقاً بين الأصل الواقعي والصوري الصناعي إلا قليلاً ، إلا أن الخبراء يقولون : إنه سيأتي بانقلاب هائل في هذا المجال عن وقت قريب ، أن لا يكاد يبقّى فيه فرق بين الأصل الحقيقي والصورة المزيفة ، ولن يتمكن من التمييز بينهما إلا عدد قليل من الناس .

ومن المعلوم أن الصحة نعمة عظيمة من نعم الله تعالى أنعمها على الإنسان ، ثم أوجب عليه الحفاظ عليها وصيانتها ، ولا يجوز له التفریط فيها أو الإهمال بشأنها . ومن الحقائق أيضاً أن الأمراض الجديدة والمتنوعة تظهر يوماً بعد يوم مع مرور الزمن ، حتى أصبح الواقع أن تكاليف العلاج الحديث قد ارتفعت ارتفاعاً باهظاً ، بحيث تصبح نفقات العلاج وتكاليفه فوق طاقة الإنسان في كثير من الأحيان حتى أصحاب القدرة الاقتصادية المتوسطة يعجزون عن تحملها في بعض الأحيان أيضاً . وفوق ذلك كله أن الطب والعلاج ، اللذين كانا وسيلة لخدمة الخلق ومهنة شريفة كان يتخذها أشرف الناس ، قد تحوّلا في الوقت الحاضر إلى نوع من التجارة ، وأصبح استغلال حاجة المريض واضطراره

وسيلةً لأخذ الأموال منه ، حتى كادت مظاهر الإنسانية أن تختفي من هذا المجال أو تموت تقريباً .

(١) تعريف التأمين الصحي :

هو اتفاق يلتزم بموجبه شخص أو مؤسسة تتعهد برعايته بدفع مبلغ محدد أو عدد من الأقساط لجهة معينة على أن تلتزم تلك الجهة بتغطية العلاج أو تغطية تكاليفه خلال مدة معينة ^١ .

(٢) أساليب التأمين الصحي :

التأمين الصحي إما أن يتم عن طريق مؤسسة علاجية ، أو عن طريق شركة تأمين خاصة ، أو رسمية تقوم بدور الوسيط بين المستأمن وبين المؤسسة العلاجية ؛ فتشترك شركات التأمين الصحي الحكومية والخاصة على السواء في أن الشخص يدفع باختياره ، مبلغاً محدداً دفعة واحدة لمدة سنة أو سنتين أو خمس سنوات فصاعداً ، أو يدفع مبلغاً محدداً معيناً على أقساط شهرية لمدة سنة معينة أو أكثر ، وبناءً على ذلك يستحق خلال السنة أو السنوات المحددة المئوية مبلغاً كبيراً من النقود لعلاج أي مرض خطير يصاب به ، وهذا المبلغ الكبير يكون حده الأقصى محددًا وقت إبرام العقد في ابتدائه . وإن لم يُصب بالمرض خلال السنة أو السنوات المحددة ؛ بل بقي صحيحاً متمتعاً بالصحة والعافية والسلامة من أي مرض ، فلا يُعاد إليه شيء من المبلغ المدفوع من جانب شركة التأمين الصحي ، وبعبارة أخرى : يذهب المبلغ المدفوع كله سدىً بلا معاد شيئاً . ويجدر بالذكر أنه إذا كان التأمين الصحي لمدة سنة واحدة ، فلا بد أن يجدد التأمين في كل سنة بدفع المبلغ المحدد دفعة واحدة أو على أقساط شهرية .

وللتوضيح أن إجراء التأمين الصحي يتحقق بصورة فردية للأشخاص ، كما يتحقق إجراؤه بصورة جماعية للأسرة أو لموظفي مؤسسة أو شركة ؛ بل إن بعض الشركات تلزم موظفيها بالتأمين الصحي ، فتقتطع من رواتبهم كل شهر أو كل سنة مبلغاً محدداً وتدفعه

^١ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) من ٢٠ صفر إلى ٥ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ ، الموافق ٩ - ١٤ نيسان (إبريل) ٢٠٠٥ م ، قرار رقم : ١٤٩ / ١٦ / .

إلى شركة التأمين الصحي .

وقد تقوم شركة التأمين الصحي بسداد نفقات العلاج إلى المستشفى عن طريق حامل وثيقة التأمين الصحي في بعض الأحيان ، وأحياناً يقوم المستشفى بإعداد فاتورة بكامل نفقات العلاج ويرسلها إلى شركة التأمين الصحي ، ثم يستوفي مبلغ النفقات مباشرة من شركة التأمين .

وكما ينبغي للتوضيح أن التأمين الصحي الخاص ، الذي يسميه بعض الناس التأمين التجاري ، يُدفع فيه المال بحسب نسبة احتمالية الإصابة بالمرض ؛ فمثلاً الأشخاص الذين يتعودون بتناول المواد المخدرة ، وكبار السن ، وكذلك المصابون بالأمراض الدائمة ، ممن يحتمل إصابتهم بالمرض أكبر وأغلب ، فمثل هؤلاء الناس يدفعون إلى شركة التأمين الصحي مبلغاً أكثر من أولئك الذين يكون احتمال إصابتهم بالأمراض أقل ، كالشباب وغير المتعودين المتعاطين للمواد المخدرة^١ .

وقد يُبرم هذا العقد أصالة مع المستشفى نفسه دون وساطة ثالث بينهما ، أي من غير وجود شركة تأمين أخرى وسيطة ، وتتم المعاملة والعقد على نفس المنهج الذي سبق بيانه .

(٣) حكم التأمين الصحي شرعاً :

أما التأمين الصحي من منظور الشرع الإسلامي ، فإن الصور والأساليب المذكورة أعلاها للتأمين الصحي تحتوي على الربا والغرر والقمار وأكل أموال الناس بالباطل ؛ ولذلك إن إجراء التأمين الصحي ، باعتبار أصله وطبيعته ، حرام غير جائز ، وتفصيل ذلك يلي :

الأول - الربا : يتحقق الربا في التأمين الصحي من جهة أن المبلغ الذي يدفعه حامل وثيقة التأمين الصحي إلى شركة التأمين الصحي أو يُجمع فيها من جانبه ، ربما يُدفع له عند مرضه مبلغ زائد على ما أودعه ، أو يُتعاقد معه على توفير علاج تزيد قيمته على المبلغ الذي دفعه .

ومن المعلوم أن المبلغ الذي يدفعه المساهم في التأمين الطبي إلى شركة التأمين يُعتبر في حقيقته قرضاً ، ويُشترط في مقابل ذلك القرض دفع مبلغ زائد على أصل المبلغ المدفوع ، أو توفير علاج تزيد قيمته على

^١ انظر : التأمين الطبي ، ص ٧٤ ، طبعة نيو دلهي .

ذلك المبلغ ، وهذا من الربا شرعاً ، والأصل فيه : " كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً حَرَامٌ ، أَيُّ إِذَا كَانَ مَشْرُوطاً " ^١ .

وأما دفع مبلغ زائد على أصل المبلغ المدفوع لعلاج المريض ، فكونه من الربا واضح ؛ لأن النقود الورقية تُدفع في مقابل النقود الورقية مع الزيادة ، وهذا من ربا الفضل ، وقد ثبت تحريمه بالكتاب والسنة .

وأما التعاقد على علاج تزيد قيمته على المبلغ المدفوع من الروبيات ، ففيه منفعة مشروطة في مقابل القرض ، وهي من الربا المحرم شرعاً ؛ لما ورد النهي عن القرض الذي يجزئ منفعة ؛ فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم : " نَهَى عَنْ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً " ^٢ . وَرُويَ أَيْضاً عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبَاٌ " ، أَي : كل قرض اشترط فيه حصول منفعة فهو من الربا . وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً من حيث السند ، إلا أن معناه صحيح ؛ لأن أحاديث وآثاراً بهذا المعنى قد رُويت عن جماعة من الصحابة ، منهم عُمَرُ ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وَأَبِي ابْنِ كَعْبٍ وغيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ^٣ . وعلى هذا قال الفقهاء ؛ والأصل فيه : " كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً حَرَامٌ ، أَيُّ إِذَا كَانَ مَشْرُوطاً " ^٤ . والحاصل أن تلك المنفعة المتحصلة من القرض نوع من الربا ، والربا حرام بما حرمه الله تعالى ؛ فقال عز وجل : (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة : ٢٧٥] ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

^١ الدر المختار ورد المختار : ٣٩٥/٧ ، مطلب : كل قرض جرّ نفعاً حرام ، باب المراجعة والتولية .

^٢ التلخيص الحبير : ٨٠/٣ ، ١٨٢٤/٤ ، حديث رقم : ١٥٦٣ ، قال إمام الحرمين : هذا الحديث صحيح .

^٣ انظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٥٠٠/١ ، حديث رقم : ٤٣٧ ؛ السنن الكبرى للبيهقي : ٣٤٩/٥ - ٣٥٠ ؛ والسنن الصغرى للبيهقي ، بَابُ الْقَرْضِ ، رقم : ١٩٧١ ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد : ٣٦٢/٧ ، حديث رقم : ١٤٤٠ ؛ نصب الراية : ٦٠/٤ ، كتاب الحوالة ، والجامع الصحيح للسنن والمانيد ، تأليف : صهيب عبد الجبار : ٢٩١/٢٣ ، المكتبة الشاملة .

^٤ الدر المختار ورد المختار : ٣٩٥/٧ ، مطلب : كل قرض جرّ نفعاً حرام ، باب المراجعة والتولية .

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة : ٢٧٨] ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران : ١٣٠] . و " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ ، وَكَاتِبَهُ ، وَشَاهِدِيهِ " ، وَقَالَ : " هُمْ سَوَاءٌ " (أخرجهم مسلم في المساقاة ، ١٩ - بَابُ لَعْنِ أَكِلِ الرِّبَا وَمُؤْكِلِهِ ، برقم : ١٠٦ - ١٥٩٨) .

الثاني - القمار: يتحقق القمار في التأمين الصحي من جهة أن حامل وثيقة التأمين يدفع مبلغاً مالياً محدداً لمدة معينة ، لغرض العلاج من مرض محتمل الوقوع ، فإذا مرض خلال تلك المدة ، قامت الشركة بعلاجه وفقاً لما تم الاتفاق بينهما عليه في العقد ، إلى الحد المالي المحدد عند إبرام العقد ، وأما إذا لم يُصب حامل الوثيقة بالمرض خلال تلك المدة ، فلا يُردُّ إليه المبلغ الذي دفعه . فالنتيجة مجهولة نظراً إلى ذلك ، والقمار يُطلق على المعاملة التي تكون عاقبتها مجهولة ^١ .

الثالث - الغرر: وكذلك يوجد في التأمين الصحي غرر فاحش لا يسير من جهة أخرى أيضاً ، وهو أن عقد التأمين الصحي يُبرم بناءً على خطر محتمل ، وهذا الخطر أمر موهوم ، وهو احتمال إصابة حامل الوثيقة بالمرض وعدمها ، ومن المعلوم أن وقوع المرض ليس أمراً يقينياً حتمياً ، بل ولا هو أمر يغلب على الظن ، فضلاً عن كونه يقينياً ، إذ قد يمرض وقد لا يمرض . ومثل هذه الحالة يصدق عليها تعريف الغرر ؛ لأن الغرر هو ما يكون مستور العاقبة ^٢ . ثم هذا الغرر فاحش ؛ لأنه إذا كان وجود المرض محققاً معلوماً ولا يعلم قدره ، فيكون الغرر يسيراً ، وليس كذلك وهنا .

والحكم الشرعي أن مثل هذه المعاملة التي يوجد فيها الغرر غير جائزة ؛ لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر ^٣ .

^١ قاموس الفقه للشيخ خالد سيف الله الرحمانى (بالأردية) : ٥٢٤/٤ .

^٢ المبسوط : ١٣/١٩٤ ، بدائع الصنائع : ٣/٢٨ .

^٣ أخرجهم مسلم ، باب بطلان بيع الحصاة ، والبيع الذي فيه غرر ، برقم : ٤ - ١٥١٣ ؛ والترمذي ، باب ما جاء في كراهية بيع الغرر ، حديث برقم : ١٢٣٠ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ؛ وأبو داود ، باب في بيع الغرر ، حديث برقم : ٣٣٧٦ ؛ وابن ماجه ، باب النهي عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر ، برقم : ٢١٩٤ .

الرابع - أكل المال بغير حق : أما أكل المال بالظلم والباطل ، فإن عدم إعادة شركة التأمين الصحي المبلغ الذي دفعه حامل الوثيقة إليها وعدم رده إليه ، فيما لم يصبه مرض خلال المدة المحددة ، يُعدّ ظلماً وتعدياً وأكلاً لماله بالباطل ، وقد نهى الله تعالى عن أخذ أموال الآخرين وأكلها بالباطل ، فقال تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) [البقرة : ١٨٨] ، أي : ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيِّبٍ نَفْسِهِ " ^١ . وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ أَنْ يَأْخُذَ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقِّهِ " ^٢ . وعلى هذا : أن اشتراط عدم رد المبالغ المدفوعة في العقد يُعدّ شرطاً فاسداً ، ويفسد العقد .

وينبغي التنبيه إلى أنه إذا كان التعامل مباشرة مع المستشفى ، فإن ذلك يستلزم الغرر والقمار والانتفاع بالقرض ، ولذا يعدّ هذا التعامل أيضاً حراماً وغير جائز من حيث الأصل .

الخامس - الجهالة : وتوجد في هذا العقد جهالة من جهة أخرى أيضاً ، وذلك أن حامل الوثيقة إذا مرض ، واشتد مرضه ، احتاج إلى استعمال سرير المستشفى وغرفته ، ومن المعلوم أن مدة استعماله لسرير المستشفى وغرفته مجهولة ؛ مع أن الأصل أن تكون هذه المدة معينة معلومة ؛ لأن عقد الانتفاع بسرير المستشفى وغرفته عند زيادة المرض من قبيل إجارة منافع الأعيان ، ومن شروط الإجارة أن تكون المنفعة معلومة وقت العقد . ثم إذا كانت المنفعة قابلة للزيادة والامتداد ، فينبغي أيضاً أن تحدّد مدة الإجارة وتذكر في العقد ^٣ .

وكذلك أن المعقود عليه ، أي : المبيع ، وهو دواء ، مجهول من حيث نوع الدواء ومقداره ، مع أن من شروط صحة البيع أن يكون المبيع معلوماً . وكذلك الحصول على العلاج نفسه مجهول ؛ لأن ذلك الشخص

^١ أخرجه الدارقطني في البيوع ، برقم : ٢٨٨٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ، برقم : ١١٥٤٥ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، برقم : ١٥٧٠ ، وأحمد في مسنده ، برقم : ٢٠٦٩٥ .
^٢ أخرجه أحمد في مسنده ، برقم : ٢٣٦٠٥ ؛ وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٢٨٢٢ ، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

^٣ التأمين الصحي ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ط : إيفا ، نيودلهي .

قد يدفع المبلغ المحدد كله في بعض الأحيان ؛ ولكن لا تأتيه فرصة العلاج خلال المدة المحددة ، وقد يموت في بيته أو في الطريق أو بسبب حادثة ، فلا تُتاح للمستشفى فرصة علاجه أصلاً .

السادس - الإعانة على المعصية : كما تقدم أن التأمين الصحي يشتمل على عدة محظورات شرعية من الربا ، والقمار ، والغرر ، والظلم وأكل مال الغير بغير حق ، كلها معصية لذاتها بلا خلاف ، ومن يشترك في التأمين الصحي فهو يعين شركة التأمين الصحي على المعصية بعبارة أخرى ، والمعلوم أن الإعانة على المعصية معصية أيضاً ؛ فقال تعالى : (وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة : ٢] .

والحاصل أن صورة التأمين الصحي السائدة في الوقت الحاضر غير جائزة شرعاً نظراً إلى ما تؤول إليه ؛ لأنها تشتمل على معاملات محرمة شرعاً ، كالربا والقمار والغرر والجهالة والشروط الفاسدة ؛ فيكون التأمين الصحي غير جائز في عامة الأحوال والأوضاع ، ولا فرق في هذا الحكم بين المؤسسات الرسمية الحكومية والمؤسسات الشخصية الخاصة ، إلا في الأوضاع الراهنة في الهند ، وهي أن علاج الأمراض الخطيرة في الهند أصبح عسيراً ، وليس ذلك عسيراً على من يعيشون تحت خط الفقر فحسب ، بل حتى على أصحاب المستوى الاقتصادي المتوسط أيضاً ، وذلك بسبب انحطاط المستشفيات الحكومية ، وازدهار المستشفيات التابعة للشركات ، وطلب الأطباء العمولات وقبولهم إياها ، وارتفاع أسعار الأدوية نتيجة للاتفاقيات التجارية الدولية ؛ ففي تلك الخلفية والظروف الحالية :

أولاً : إذا كان التأمين الصحي ضرورياً بسبب إلزام قانوني من جهة الحكومة ، وكذلك إذا أوجبه الشركة على موظفيها ، أو كان التأمين الصحي جزءاً إلزامياً من عقد العمل (Agreement) ، ولم يكن له سبيل آخر للكسب الحلال من دونه ، ولا يمكن الحصول على وظيفة أخرى حين ذاك ، فلا حرج في الاشتراك في التأمين الصحي حينئذ ؛ لكن يجب على القادر المستطيع على دفع التكاليف أن يتصدّق بقدر ما زاد من نفقات العلاج على المبلغ الذي دفعه في التأمين ، من غير نية الثواب .

ثانياً : من كان مصاباً بمرض يمكن أن يكون باعتبار الأسباب

والوسائل مؤدياً إلى مرض خطير يحتاج إلى علاج باهظ التكلفة ، كمريض السكري وارتفاع ضغط الدم ونحوهما ، وكانت حالته المادية السيئة لا تمكنه من تحمل نفقات علاجه الباهظة ولا يستطيع أن يتحملها إلا بالاستدانة ، جاز له الاشتراك في التأمين الصحي لدى شركة حكومية أو غير حكومية خاصة .

ثالثاً : والأحسن أن يُبرم عقد التأمين الصحي مع شركة توفر فحصاً طبياً مجانياً لحامل الوثيقة ، مرة واحدة على الأقل في السنة .

رابعاً : لا يجوز للقادرين على تحمل نفقات العلاج والمعالجة تحملاً كاملاً الاشتراك في التأمين الصحي والانتفاع به .

خامساً : يمكن إقامة نظام بديل للتأمين الصحي المعاصر المروج وفق التعاليم الإسلامية ، وينبغي للمسلمين أن ينشئوا مؤسسات وأنظمة خيرية تُعنى بمساعدة المحتاجين ، ويكون هدفها العظيم الأساسي تقديم المساعدة للمحتاجين إلى العلاج والمعالجة وإعانتهم بحسب حاجتهم ، لا الاتجار وتحصيل الربح^١ .

والحالات التي أبيع فيها الاشتراك في التأمين الصحي ورُخص فيها ، فليس سبب ذلك إلا مراعاة لحفظ النفس والصحة ، وهما من المقاصد الأساسية للشرعية ؛ فإذا اقتضى تحصيل هذا المقصد القيام بعمل ليس له بدٌّ عنه ، بحيث يترتب على تركه يقيناً حتماً أو غالب ظن فوات حفظ الصحة والنفس ، يجوز إنجازه بقدر الحاجة والضرورة ، حتى ولو كان ذلك العمل في أصله غير جائز وممنوعاً شرعاً^٢ ، ونفس الحالة في القضية المبحوث فيها ؛ لأن المحتاجين الذين لا يقدرّون على تحمل نفقات علاجهم ومعالجتهم ، ولم يكونوا مشتركين في التأمين الصحي من قبل ؛ فلن يستطيعوا إنقاذ أنفسهم من الهلاك ، ويؤول الأمر إلى أنهم يصيرون فريسة للموت بسهولة .

(للبحث صلة)

^١ راجع : القضايا المعاصرة وقرارات مجمع الفقه الإسلامي - الهند ، التأمين الصحي، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ط : إيفا ، نيودلهي ، ودار الإفتاء بالإمارة الشرعية ، فلواري شريف ، بته - الهند في تاريخ ٢٠ / أغسطس ٢٠٢٢ م .

^٢ القضايا المعاصرة وقرارات مجمع الفقه الإسلامي - الهند ، التأمين الصحي ، ص ١٢٤ ، ط : إيفا ، نيودلهي .

الصهيونية : حركة معادية للإنسانية

المفتي عتيق أحمد البستوي*

تعريب : الأستاذ مبین أحمد الأعظمي الندوي❁

الصهيونية من الحركات اليهودية السرية ، ولها تأثير واسع وعميق على ما وقع من أحداث ووقائع في القرون الأخيرة ، فلزاماً على مؤرخ أن يدرس هذه الحركة كذلك .

التحقيق في كلمة " صهيون " و " صهيونية " :

الصهيونية نسبة إلى " صهيون " ، يقول مؤلف المنجد في شرح كلمة " صهيون " : " صهيون (Sion) : تلة في أورشليم عليها هيكل سليمان ، والمسجد الأقصى ، وقبة الصخرة " ^١ .

ويكتب عبد الله التل : " الصهيونية (Zionism) : وهي منسوبة لصهيون الجبل الذي يقع في جنوب بيت المقدس . وقد ورد ذكر جبل صهيون في التوراة - العهد القديم - في مواضع كثيرة " ^٢ .

وجاء في " اردو دائره معارف إسلاميه " المطبوع من جامعة بنجاب بلاهور تحت مادة " صهيون " : " صهيون ، كلمة مترادفة لـ " Zion " ، تشكلت من كلمة عبرية " صيون " (Siyon) ، وكلمة عربية آرامية " صيحون " (Sehyon) ، ويقول ياقوت الحموي : " هو موضع معروف بالبيت المقدس ، محلة فيها كنيسة صهيون " ، وطبقاً لما جاء في كتب الأدب للمسلمين : المسجد الذي يقع على جبل صهيون هو موضع خدمت المعبد فيه مريم (أم عيسى) ، ويوسف عليهم السلام كذلك في أيام شبابه " ^٣ .

بعد أن شرحنا كلمة " صهيون " ، اقرؤوا أولاً ما يعطينا " المنجد

* أستاذ الحديث والفقہ الإسلامي ، وسكرتير مجمع البحوث والدراسات الإسلامية ، ندوة العلماء ، لکناؤ .

❁ مدرس بدار العلوم لندوة العلماء .

^١ المنجد في الإعلام ، طبعة دار المشرق ، ص : ٤٢٧ .

^٢ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، دار القلم ، ص : ١٥٦ .

^٣ اردو دائره معارف إسلاميه ، جامعة بنجاب بلاهور ، المجلد ١٢ ، طبعة ٢٠٠٥م

/ ١٤٢٦هـ ، ص : ٢٦٢

في الإعلام " من معلومة محققة عن " الصهيونية " : " الصهيونية (Sionisme) : حركة المطالبين بوطن قومي لليهود في فلسطين ، عاصمته صهيون (أورشليم) . بدأت الفكرة بالانتشار في القرن ١٩ ، وبدأت تتحقق بعد " وعد بلفور " ١٩١٧م الذي تعهدت فيه إنكلترا بالمساعدة على إنشاء هذا الوطن القومي " ^١ .

الصهيونية قديمة جداً :

يعتقد الناس عاماً أن الحركة الصهيونية بدأت على يد هرتزل في القرن التاسع عشر الميلادي ، لكن معظم المحققين ينفون ذلك ، فمن الواقع أن هذه الحركة ازدادت شهرة ونشاطاً بشكل هائل في القرن التاسع عشر ، ووصلت إلى ذروتها على يد هرتزل ، حيث إنه أخرجها من دائرة البحث والنظر ، ووضعها على طريق العمل والتنفيذ . أما الفكرة الرئيسية لهذه الحركة فهي قديمة جداً ، فما تحمل هذه الحركة من تصورات أساسية هو نفس تلك التصورات - تقريباً - التي تتناثر في بحايح " التلمود " الكتاب الديني لليهود . ومن خلال دراسة سريعة للتلمود ، يمكن تتبع تلك العقائد الدينية التي بُني عليها الصرخُ الهائلُ المهيبُ للصهيونية الحالية ، ومن الصعب جداً أن نكتشف متى اتخذت هذه العقائد شكل حركة صهيونية لأول مرة ؟ وذلك لأن اليهود قد آثروا السرية والكتمان في حركاتهم ، غير أننا نجد آثاراً لحركات عديدة تشبه الحركة الصهيونية الحالية في مرآة التاريخ الطويل لليهود .

الأنبياء البارزة للصهيونية :

قدم رواد الصهيونية صورةً جذابةً ومثاليةً لهذه الحركة أمام العالم ؛ حيث ادّعوا أن فلسطين هي وطنهم الأم ومقر معابدهم المقدسة . وزعموا أنه لا بد لليهود أن يستوطنوا فلسطين وفقاً لتعاليمهم الدينية ، وقد صاغوا خطابهم بالتركيز على أن الأمم المختلفة على أرجاء المعمورة قد جعلتهم يعانون من التشييت والتشريد منذ قرون طويلة ، وغصبت وطنهم ، واضطرتهم إلى عيش الذل والهوان مهاجرين من بلد إلى بلد ، فإننا أينما نتجه وننزل ، مَنَعْنَا سَكَانُ تلك الأرض من البقاء فيها ، والعيش بحرية وسلام ، متعرضين لأنفسنا وأموالنا ، ومنتهكين لأعراضنا وحرماننا ، الأمر الذي يجعلنا نفتقر إلى قطعة أرض يمكن لنا - اليهود - أن نتخذها

^١ المنجد في الإعلام ، طبعة دار المشرق ، ص : ٤٢٧ .

وطناً نعيش فيه بأمن وسلام ، ونتنستم الحرية والكرامة مثل الشعوب الأخرى في العالم ، وبأن لنا بأرض فلسطين صلة عرقية وروحية ، وفيها تتواجد معابدنا المقدسة ، وهيكل سليمان ، فإننا نتسول أرض آبائنا ، ونستعطيها ، أما المسلمون فإن لهم عشرات البلاد ، فهناك الشام ، والعراق ، وإيران ، وأفغانستان ، وتركيا ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، فليست هناك قضية تشغل بالهم من ناحية الوطن .

الأنياب الخفية للصهيونية :

هذه هي الأنياب البارزة للصهيونية ، أما الأنياب الخفية لهم فهي تختلف عنها تماماً ، فالهدف المنشود لهذه الحركة هو تأسيس دولة عالمية يهودية على وجه البسيطة ، يكون مقرها أرض فلسطين ، حيث إن السيادة على العالم لا يستحقها إلا اليهود كحق طبيعي لهم . أما الأمم الأخرى فلم تخلق إلا لخدمة اليهود كمثل خلق الحيوانات على الأرض .

فمن تعاليم التلمود :

" خلق الله الأجني على هيئة إنسان ليكون لائقاً بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم " ^١ .

" الدنيا وما فيها ملك لهم ، ويحق لهم التسلط على كل شيء فيها " ^٢ .
" نحن شعب الله في الأرض ، وقد أوجب علينا أن نفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنساني ، وهم كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالذباب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا ، وفرقنا في الأرض لئلا نمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا . لذلك يجب أن نزوج بناقتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضاً ، وفي ذلك كله نجني الفائدة الكبرى " ^٣ .

الهدف الأساسي المنشود للصهيونية :

قصارى القول أن محور الحركة الصهيونية إنما هو تأسيس

١ حقيقة اليهود ، ص : ١٧ .

٢ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، ص : ٧٤ .

٣ المرجع السابق ، ص : ٧٦ - ٧٧ .

الدولة اليهودية في العالم أجمع ، ولكن اليهود قرروا أن يخطوا خطوات تدريجية للوصول إلى هذا الهدف الأكبر ، فالذي نقدمه - في الصفحات التالية - من تاريخ للصهيونية ستتعرض فيه صورة كاملة لهذا الغرض في مرآة كتابات مؤسسي هذه الحركة وروادها ، وقد بين الكاتب الشهير عبد الرحمن عصمت الهدف الأساسي للصهيونية بأوضح أسلوب :

" لم تقف إذن أغراض الصهيونية الحديثة عند حد إنشاء الوطن القومي لبني إسرائيل ، من نهر النيل إلى نهر الفرات ، وعاصمته القدس ، وهو غرض الصهيونية القديمة . بل تعدت ذلك بمراحل . والغاية التي ترمي إليها الصهيونية الحديثة هي جعل الكرة الأرضية بقاراتها الخمس وقطبيها المتجمدين ، تحت سيطرة اليهود لا ينازعهم فيها أحد البتة ، ليحكموا الناس جميعاً حكماً دكتاتورياً وهم مرغمون . وإلى محو كافة الأديان ما عدا الدين اليهودي . وقد مهد الأولون الأسباب للوصول إلى منتهى هذه الغايات ، وأخذ بها الآخرون " ^١ .

خلفية نشأة الحركة الصهيونية من منظور كاتب صهيوني :

إن دراسة الافتراضات والخداعات التي تذرع بها اليهود لإثبات حقهم الشرعي في اتخاذ فلسطين وطنهم القومي ، دراسة تحليلية حيادية ، هي خارجة عن موضوعنا الآن ، ولكن يتحتم علينا أن ندرس خلفية نشأة الحركة الصهيونية لنستطيع فهمها فهماً صحيحاً ، وقد بين ذلك الكاتب الصهيوني الشهير إسرائيل كوهين بشكل مفصل ، فأورد هنا ما كتبه هذا الكاتب لتتضح أمامنا صورة صادقة لذلك كما يراها كاتب من بني جلدتهم .

" ما الذي حدا باليهود إلى التفكير في العودة إلى فلسطين ، وقد انقضى على تشريدهم ثمانية عشر قرناً ؟ سؤال أثار دهشة العاطفين على الحركة الصهيونية والناقمين عليها جميعاً ، غير أن القائمين على الحركة يزعمون أن اليهود ، منذ دالت دولتهم على أيدي الرومان إلى أن دخل الجيش البريطاني الأراضي المقدسة ، ظلت طوائف منهم تعيش في فلسطين وتعاني الفقر والاضطهاد ، ولكنها تحيا بقوة الإيمان . وقد توالى عليهم الرومان والبيزنطيون والفرس والعرب والأتراك والمماليك والمغول والعثمانيون ، ولكنهم لم يكتفوا يوماً من الأيام من التعلق بالأمل في

^١ الصهيونية والماسونية ، عبد الرحمن سامي عصمت ، طبعة ثانية ، ١٩٥٠م ،

إعادة مجدهم البائد .

ويقول غلاة الصهيونيين : إن أسلافهم دافعوا عن استقلال بلادهم سنة ٧٠ قبل الميلاد ، وفقدوا في سبيل ذلك مئات الآلاف من بني إسرائيل . واضطر عدد كبير منهم للعيش في المنفى تحت ضغط الإرهاب السياسي والانهيار الاقتصادي . لا أن كثيراً منهم آثروا البقاء في أرض أجدادهم ، وظلت سلالات منهم تعيش حتى اليوم في منطقة الخليل العليا والمناطق الجنوبية من الأردن محتفظة بعادات اليهود الأولين وتقاليدهم .

ولم ينقض على حكم الرومان ستة أعوام حتى اشتعلت نيران ثورة جامعة بقيادة زعيم يدعى " بار خوشبا " ما لبث أن استرد بيت المقدس وظل معتمداً بها ثلاث سنوات (١٣٢ - ١٣٥) حتى جرد الرومان عليهم حملة اجتاحت أراضيهم وأزالت قلاعهم وأحرقت قراهم ، ومات من اليهود ست مائة ألف قبل أن تقمع الثورة .

ولكي يتقي الرومان شر الثورات بعد ذلك أداروا المحارث فيما تبقى من أطلال القدس ، وقضوا على رؤوس الأفاعي التي كانت تنفث سمومها في الظلام ، وأرسلوا عدداً كبيراً من الثوار مكبلين بالأغلال إلى روما ، حيث عاشوا في العبودية والذل .

ثم أصبحت المدينة المقدسة مستعمرةً رومانيةً أطلق عليها اسم " إيليا كابيتولينا " ، كما أطلق على أراضي الدولة اليهودية اسم فلسطين ، واجتاح مصر والعراق وبعض الأقطار الأوروبية سيل من المهاجرين ، ولم يبق في فلسطين إلا عدة آلاف من اليهود حرمت عليهم زيارة أطلال القدس إلا مرة واحدة في السنة ، للتأمل والبكاء على تخريب معبدهم .

ولما خفت حدة المظالم الرومانية عادت الحياة إلى فلسطين وبعثت عدة قرى ، ومنحهم السادة حكماً ذاتياً ، فكان لهم مجلس تشريعي استقر أخيراً في مدينة طبرية ، وكان يتوارث رئاسته أناس من سلالة داود ، كان الرومان يعترفون لهم بزعامة الطائفة اليهودية في فلسطين وسائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية .

وفي أواخر عهد الرومان وأوائل حكم بيزنطة ازدهرت الحياة في فلسطين واشتغل معظم سكانها بالزراعة والحرف اليدوية ، كما انتشروا حتى شواطئ البحرين الأبيض والأحمر ، وشهدت مدن قيصرية واللد وطبرية عدداً من كبار الفقهاء اليهود الذين وضعوا أحكام التلمود والمشناح - وفيهما تراث العهد القديمة من ثقافة ودين - فضلاً عن

المراسيم الدينية التي يتبعها اليهود في عبادتهم وصلواتهم حتى وقتنا هذا . وظل الحكام من سلالة داود يباشرون السلطة في فلسطين إلى أن انتزعها منهم الإمبراطور تيودور الثاني في أوائل القرن الخامس^١ .

ثم بعد أن علق الكاتب المذكور على مختلف العصور الإسلامية يكتب : " اختلط العنصر الديني وفكرة ظهور المسيح الذي سيعيد اليهود ذات يوم إلى فلسطين ، بالعنصر السياسي في بعض الأحيان ؛ وكان أول مظاهر هذا الاختلاط مشروع وضعه " دافيد روبيني " خلال القرن السادس عشر ، وكان يقضي بدعوة زعماء اليهود من العرب إلى غزو فلسطين ، وانتزاع أراضيها من أيدي الغاصبين الغزاة بمساعدة أقطاب اليهود في أوروبا مستهدفين تأسيس دولة يهودية في الأراضي الفلسطينية . ولكن هذا المشروع أثار الذعر في النفوس فمات في المهد ، وظهر فيما بعد مشروع آخر عرضه تاجر دانيماركي يدعي " أوليجر باولي " على ملك إنجلترا غليوم الثالث ، وملك فرنسا لويس الرابع عشر ، وكان هذا المشروع يقوم على أساس دنيوى لا ديني ، غير أن عاهلي إنجلترا وفرنسا أعرضا عنه .

وجاء أول عرض رسمي على اليهود من جانب نابليون بونابارت أثناء حملتي مصر وسوريا إذ نشرت الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٧٩٩م ، نداء وجهه القائد الفرنسي إلى يهود آسيا وأفريقيا ، مستحثاً إياهم إلى الانضواء تحت رايته لكي يعيد إليهم مجدهم الضائع ويرد لهم حقوقهم المسلوبة منذ آلاف السنين . ولكن نابليون لم يلبث أن فك الحصار عن عكا وعاد إلى بلاده قبل أن يصل نداؤه إلى اليهود .

ثم تولى الدفاع عن الفكرة بعض رجال الدين والأدب والسياسة من الإنجليز في مستهل القرن التاسع عشر . وكان المسيحيون منهم يؤيدون فكرة استيطان اليهود بحافز من الإنجيل ، إذ كانوا يعتقدون أن اليهود إذا ما عادوا إلى القدس فلن يلبثوا أن يعتنقوا المسيحية .

وقد خلد لورد بيرون تشريد بني إسرائيل في أغانيه العبرية إذ قال : " إن للحمامة البيضاء عشا صغيرا ، ولثعلب وكرا ، ولكل إنسان وطنه ، إلا اليهود فلهم القبور " .

وجاء ديز رائيلى فحذب على قضية اليهود في روايته " دافيداكروا " ، وجعل بطلها يقول : " تسأليني عن أعز أمنية عندي ، وجوابي : هي أرض

^١ هذه هي الصهيونية ، إسرائيل كوهين ، دار المعارف بمصر ، ص : ٢٠ - ٢٣ .

الميعاد ، وتسأليني عما يداعب أحلامي ، فأقول : أورشليم ، وتسأليني عما يستهوي فؤادي ، فأقول : إنه الكنيس ...

"أجل ، أريد كل ما فقدناه في سالف الزمان ، وما تهفو إليه نفوسنا ، وما جاهد آبؤنا وأجدادنا في سبيل استرجاعه ... بلادنا الجميلة ، وعقيدتنا القدسية ، وعاداتنا البسيطة ، وتقاليدها القديمة " .

ثم وضع جورج أليوت بعد ذلك قصة دانييل ديروندا المعروفة ، ودافع فيها عن فكرة استيطان اليهود أرض الميعاد .

وتلاه عدد من الشخصيات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فأبدوا اهتمامهم بالمشروع من الناحية العملية ، وكان من بينهم سير مويز مونتفيور الذي سافر إلى مصر وعرض على محمد علي مشروعا للوطن القومي اليهودي . ثم لورد شافيتسيري الذي بذل وساطته لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تضمنه الدول العظمى ، وقدم بذلك مذكرة إلى وزير خارجية إنجلترا في أثناء انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م . وأخذت هذه الفكرة تتبلور ، وتظهر إلى حيز الوجود ، لولا انعدام تنظيم اليهود من الناحية السياسية ، لانتهى الأمر بأن أصدر بالمرستون تعليماته إلى القنصل الإنجليزي في القدس بأن يضيف حمايته على اليهود الذين كانوا من رعايا بريطانيا - ولعل هذه الحماية كانت حجر الأساس لوعد بلفور الذي بذله لليهود عام ١٩١٧م - ^١ .

تصريح عبد الله التل :

وقد قدّم أمامكم البيان المذكور لإسرائيل كوهين بعض اللّمحات عن خلفية الحركة الصهيونية ، وقد اتفق غيره من المؤرخين أيضاً على أن الصهيونية ليست بمنظمة حديثة ، وإنما تم تأسيسها منذ آلاف السنين ، يكتب عبد الله التل المحقق الخبير في شؤون الصهيونية واليهودية : " ويحسب الكثيرون أن الصهيونية بدأت من عهد نبيها الحديث تيودور هرتزل ، وهي في الواقع حركة قديمة مرت بأدوار عديدة أهمها :

- (١) حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي ، والتي كان من أول أهدافها العودة إلى صهيون ، وبناء هيكل سليمان من جديد .
- (٢) حركة باركوخبا (١١٧ - ١٣٨م) ، وقد أثار هذا اليهودي الحماس في نفوس بني قومه ، وحثهم على السعي للتجمع في فلسطين ، وإعادة

^١ المرجع السابق ، ص : ٢٨ - ٣١ .

بناء الهيكل ، وتأسيس دولة يهودية ، وتنصيب ملك عليها من نسل داود .
(٣) حركة موزس الكريتي ، وكانت مشابهة لحركة باركوخبا ولم يكتب لها النجاح كذلك .

(٤) مرحلة الركود في النشاط الصهيوني بسبب الاضطهاد الذي عاناه اليهود في القرون الوسطى ، ولم تظهر في هذه المرحلة حركات صهيونية عنيفة تنادي بتأسيس دولة يهودية في فلسطين .

(٥) حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١ - ١٥٣٢م) ، وقد ظهر هذان اليهوديان كمنقذين للشعب اليهودي ، وقائدين طموحين يسعيان إلى تجميع اليهود وإعادة توطينهم في فلسطين .

(٦) حركة منشة بن إسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٥٧م) ، وكان يدعو إلى إعادة توطين اليهود في بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين . ويبدو أن هذه الحركة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة التي وجدت لها أرضاً خصبة هي بريطانيا ، ترعرعت فيها ونمت واستطاعت في مدى ثلاثة قرون أن تسخر جميع قوى الإنجليز من أجل تحقيق أهداف اليهود .

(٧) حركة شبتاي ليفي (١٦٢٦ - ١٦٧٦م) ، وكانت من أشد الحركات الصهيونية عنفاً وتعصباً ، وادعى صاحبها أنه المسيح المنتظر وما لبثت هذه الحركة أن أحدثت رد فعل عكسي فجاء مندلسون (١٧٢٠ - ١٧٨٦م) يدعو بني قومه اليهود أن يتقبلوا العيش مع جيرانهم في البلاد التي يعيشون فيها ، وأن يكتفوا بالجانب الروحي من اليهودية ويهملوا الجانب السياسي .

(٨) نشاط اليهود واجتماع المجلس الأعلى " Sanhedrin " بناءً على دعوة من نابليون سنة ١٨٠٦م لإثارة حماسهم وأطماعهم وتحريضهم على مساندته في احتلال الشرق العربي واعداء إياهم بمنحهم فلسطين^١

(٩) حركة رجال المال اليهود مثل مونتفيوري وروتشيلد . وقد عمل هذان اليهوديان على تنمية أحلام اليهود وتقويتها ، وقدموا الأموال الطائلة لشراء الأرض في فلسطين وبناء المستعمرات منذ أواسط القرن التاسع عشر وساعدها على تحقيق أهدافهما في فلسطين أقطاب اليهود الإنجليز مثل دزرائيلي ولورنس أوليفانت . ودزرائيلي اليهودي الذي تظاهر باعتناق المسيحية قد وصل إلى رئاسة الوزارة البريطانية في عهد الملكة

^١ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، ص : ١٥٧ - ١٥٨ .

فكتوريا ١٨٧٥م " ١ .

(١٠) حركة صهيونية مكبوتة قامت في روسيا في القرن التاسع عشر " ٢ .

(١١) الحركة الصهيونية الكبرى " ٣ . (أي في العصر الراهن) .

أفكار بعض الصهاينة السابقين لهرتزل :

هنا ينبغي لنا معرفة العناصر التي تتضمنها حركة هرتزل من قبيل معاداة الإنسانية ، والقسوة ، والوحشية ، والعنصرية فإنها ليست جديدة في تاريخ الصهيونية ، فقد طرح صهاينة آخرون ممن سبقوا هرتزل أفكاراً وآراءً مشابهة تماماً في مناسبات مختلفة ، وإليكم مثالين :

"وقد نقل المؤرخ اليهودي إيلي ليفي أبو عسل في كتابه " يقظة العالم اليهودي " نص خطاب خطير وجهه أحد حكماء اليهود إلى بني قومه سنة ١٧٩٨م ، ويعتبر ما ورد فيه دستوراً يهودياً خطيراً سبق مقررات حكماء صهيون التي سيرد ذكرها .

ونص الخطاب :

"أيها الإخوان ! لا يعزبن عن ذهنكم أن زفرا تكم وتهداثكم صعدت في خلال العصور إلى عنان السماء لشدة ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد ، فهلاً تنوون أن تتخلصوا نهائياً من الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التي وضعكم فيها أناس من الهمج . إننا نرى الأزدراء مرافقاً لنا في كل مكان ، فالبدار البدار ، فقد حان الوقت لتحطيم سلاسل الخسف والإهانة التي طوق العدو بها أعناقكم ، وخلع النير الذي لا يطاق احتماله . نعم قد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم . فهيا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم . إن عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرين في جميع أقطار العالم . وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا . إن الفرصة لسائحة ، ومن واجبنا أن نغتتمها .

إنه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس ، وهي إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلداً التالية ،

١ المرجع السابق ، ص : ١٦١ .

٢ المرجع السابق ، ص : ١٦٢ .

٣ المرجع السابق ، ص : ١٦٣ .

وهي : إيطاليا ، وسويسرا ، والمجر ، وبولونيا ، وروسيا ، وبلاد الشمال ، وبريطانيا العظمى ، وأسبانيا ، وبلاد ولس ، والسويد ، وألمانيا ، وتركيا ، وآسيا ، وأفريقيا .

فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين فى هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث فى مهمتها وتتخذ ما تراه من القرارات فى صدها . ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له .

أما البلاد التي تتوي قبولها باتفاق مع فرنسا فهي إقليم الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر . فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر فى العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية . ولا شك فى أن بلاد أثيوبيا والحبشة لا تتأخر عن إقامة علاقاتها التجارية معنا بملء الرضا والارتياح . وهي البلاد التي كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعاج والحجارة الكريمة . ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا .

ولما كانت بلادنا فى موقع متوسط من العالم فإنها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها الأراضى الغنية . أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالي فلا يجوز نشرها علنا وعلى رؤوس الأشهاد . وسنكون مضطرين لإبقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية .

أيها الإخوان ! يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية أي الرجوع إلى بلادنا حيث يمكن أن نعيش فى ظل شرائعنا الخاصة . وأن نجدد البلاد المقدسة التي اشتهر أجدادنا بما بذلوه فى سبيلها من التضحية ، وما أظهروه من الشجاعة والشهامة . فكأنى أراكم الآن ونار الإيمان تضطرم فى صدوركم . فيا أيها الإسرائيليون ! لقد قربت الساعة التي ينتهي فيها أجل حالتكم التعسة . إن الفرصة الآن سانحة ، فحاذروا أن تقلت من أيديكم " ١ .

١ المرجع السابق ، ص : ١٥٩ - ١٦١ .

كلمة الريح في الأدب العربي

د . أورنك زيب الأعظمي *

للغة العربية كلمات مذكّرة وأخرى مؤنثة ، وكلمات مذكّرة ومؤنثة معاً . فالكلمات التي تأتي مذكّرة أو مؤنثة معروفة ، وأمّا الكلمات التي تستعمل مذكّرة ومؤنثة معاً فمنها : الحرب والدعوى والدلو والذنوب والسبيل والسلاح والسوق والعقاب والقدر والكف وغيرها عديد ، ولا حاجة إلى تعدادها . ففي هذه العجالة نتناول كلمة " الريح " ونبيّن هل هو مذكّر أم مؤنث ؟

آراء الكتاب عن جنس كلمة " الريح " : اتفق النحاة واللغويّون على أنّ " الريح " كلمة مؤنثة ، فقال الفراء (٢٠٧هـ) : " الريح كلّها إناث " ^١ .

وقال السجستاني (٢٥٥هـ) : " الريح من كلّ شيء مؤنثة وثلاث أرواح ، وكذلك كلّ اسم للريح فهو مؤنث " ^٢ .

وقال أبو الطيّب الوشّاح (٣٢٥هـ) : " وكذلك الرياح كلّها أيضاً مؤنث أسماؤها وصفاتها " ^٣ .

وعدها ابن التستري (٣٦١هـ) من المؤنث السماعي ^٤ .

وقال ابن جني (٣٩٢هـ) : " الريح مؤنثة ، وكذلك جميع أسمائها " ^٥ .

وقال ابن الأنباري (٥٧٧هـ) : " والريح وأسمائها مؤنثة " ^٦ .

فاتفق النحاة على أنّ " الريح " كلمة مؤنثة سماعية .

تأويل الكتاب على مجيئ كلمة " الريح " مذكّرة : ولكن جاءت هذه الكلمة

* أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الملكية الإسلامية ، نيودلهي .

^١ كتاب المذكر والمؤنث ، ص ٢٧ .

^٢ المذكر والمؤنث ، ص ١٦٩ .

^٣ مجلة اللغة العربية وآدابها ، ١ ، ص ٧٠ .

^٤ المذكر والمؤنث ، ص ٥٠ .

^٥ المذكر والمؤنث ، ص ٦٩ .

^٦ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، ص ٦٨ .

مذكّرة في مواضع معدودات ، فأوّله العلماء بتأويلات مختلفة . قال الفراء بعدما نقل البيت التالي :

كم من جرابٍ عظيمٍ جئتَ تحمله ودهنةً ريحُها يُغطي على الثفل
فيذكرونه (بنو أسد) وكأنهم اجتروا على ذلك إذ كانت الريح
ليس فيها هاء ؛ وربما ذهبَ بالريح إلى الأرج والنشر^١ .

وقال ابن التستري : " الريح مؤنثة فمذكّرها بمعنى النشر " ^٢ .
أي أنّ هذه الكلمة جاءت مذكّرة إمّا أنها من استعمالات بني
أسد لعدم وجود هاء التأنيث فيها أو لدالتها على الأرج والنشر .

مجيئ كلمة الريح مؤنثة : وعندما نتتبع كلام العرب نجد أنهم أكثروا
من إيرادها مؤنثة فقال حاتم الطائي :

لنا بيتٌ تهبُّ الريحُ فيه كأنَّ شقاقه ريشُ الجراد^٣
وقال عنتره بن شدّاد :

فبالله يا ريحَ الحجاز تنفّسي على كبدٍ حرّى تذوب من الوجد^٤
وقال النابغة الذبياني :

وهبتَ الريحُ من تلقاء ذي أرلٍ تُزجي مع الليل من صُرّادها صِرماً
صهّبَ الظلال أتين التين عن عرض يزجّين غيماً قليلاً ماؤه شبماً^٥
وقال عبيد بن الأبرص :

كأنّ الصبا جاءت بريح لطيمة من المسك لا تسطاع بالثمن الغالي^٦
وقالت وجيهة بنت أوس الضبيّة :

فلو أنّ ريحاً بلّغتُ وحيَ مُوسى حفيّ لناجيتُ الجنوبَ على النقب^٧
وقال الفرزدق :

^١ كتاب المذكر والمؤنث ، ص ٢٧ .

^٢ المذكر والمؤنث ، ص ٥٥ .

^٣ ديوانه ، ص ١٠٢ .

^٤ شرح ديوانه ، ص ٦٦ .

^٥ ديوانه ، ص ١١٢ .

^٦ ديوانه ، ص ١٠٧ .

^٧ شرح ديوان الحماسة ، ٨٣٧/٢

وأرضٍ بها جيلانُ رِيحٍ مريضَةٍ يغضُّ البصيرُ طرفه من فضائِها^١
وقال الراعي النميري :
عجبتُ من السارين ، والريح قرّة إلى ضوء نارٍ بين فردة فالرحى^٢
وقال معن بن أوس :
وكائن أجزنا دونها من تتوفّة تكاد بها الرِيحُ المُرَبّة تلعب^٣
وجاء في حديث حذيفة : " ... لقد رأيتُنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الأحزاب وأخذتنا رِيحٌ شديدةٌ وقُرٌّ ... " .^٤
وشواهد آخر لا حاجة لذكرها .
مجيئ كلمة " الريح " مذكرة : ولكننا نجد أنهم يقلّون من إيراد كلمة " الريح " مذكرة فقال الراجز :
بتُّ ألوي موهناً ذراعِيه حتى دخلتُ معه في بُردِيه
ينضح رِيحُ المسك من مَقَدِّيهِ^٥
وقال الحارث بن خالد :
يتوضّعن لو تضمّخن بالـ سك صُنّاناً كأنه رِيحُ مرق^٦
وقال دعبل الخزاعي :
والمجد يُفسده اللّيم بلؤمه كالمسك يفسدُ رِيحه بالكُنْدُس^٧
وهذه الشواهد الثلاثة مع قول بعض بني أسد تؤيد رأي النحاة مثل الفراء .
وهكذا جاء في الأحاديث فيروي ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مساجدنا حتى يذهب ريحها "^٨ .

^١ ديوانه ، ص ١١ .

^٢ شعره ، ص ١٧٤ .

^٣ ديوانه ، ص ٥٥ ، أربّ : أقام .

^٤ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٧٨٨ .

^٥ أساس البلاغة : قدّ .

^٦ أساس البلاغة : مرق .

^٧ ديوانه ، ص ٨٥ ، الكندس : عروق نبات مقيئ معطّس .

^٨ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٥٦١ (١) .

ويروي أبو سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على زراعة بصل هو وأصحابه فنزل ناسٌ منهم فأكلوا منه ولم يأكل آخرون فرحنا إليه فدعا الذين لم يأكلوا البصل وآخر الآخرين حتى ذهب ريحها^١ وجاء في حديث عمّ أنس رضي الله عنه : "... فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو : أين ؟ فقال : واهاً لريح الجنة أجده دون أحد ..."^٢ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه"^٣ .
وجاء في حديث البعث الذي بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم : تعلّموا القرآن فاقراءوه ، فإنّ مثل القرآن لمن تعلّمه فقرأه وقام به كمثّل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كلّ مكان"^٤ .
شواهد على خلاف هذا الرأي : ولكن يخالف هذا الرأي أنّ "الريح" بمعنى النشر أيضاً جاءت مؤنثة فقال المرقش الأصغر :

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها	تعلّى على الناجود طوراً وتقدح
ثوت في سباء الدنّ عشرين حجة	يُطانُ عليها قرمدٌ وتروّج
سبأها رجالٌ من يهود تباعدوا	لجیلانٌ يدينها من السوق مُريح
بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً	من الليل ، بل فوها ألدّ وأنصح ^٥
وقال عيينة بن أسماء :	
لكن أتيتُ وريحُ المسك تسبقني	والعنبر الوردُ مشبوباً على النار ^٦
وقال الشاعر :	
هداني إليها ريحُ مسكٍ تلبّختُ	به في دخانِ المندليّ المقصّد ^٧

^١ المصدر نفسه ، رقم الحديث : ٥٦٦ .

^٢ المصدر نفسه ، رقم الحديث : ١٩٠٣ .

^٣ جامع الترمذي ، رقم الحديث : ٢٧٨٧ .

^٤ المصدر نفسه ، رقم الحديث : ٢٨٧٦ .

^٥ ديوان المرقشين ، ص ٨٨ - ٨٩ ، أنصح : أطيّب .

^٦ موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص ٢٤٥ .

^٧ لسان العرب : لبخ .

وجاء في الرياح التي خرجت من ملابس الصحابة الذين لبسوا الصوف :
" فلما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرياح قال : أيها الناس ! إذا
كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمسّ أحدكم أفضل ما يجد من دهنه وطيبه " ^١ .

وكذا يخالف قولهم قول الطرمّاح في وصف الذئب :
إذا امتلّ يهوي ، قلت : ظلّ طخاءة ذرى الريح في أعقاب يوم مُصرّح ^٢
وهكذا أقوال أبي كبير الهذلي :
عجل الرياح لهم فتحمل غيرهم مُصطافاة فضلات ما في القمقم ^٣
والفرزدق :

فَترّ الرياح عن الوليد إذا غدّت معه ، وفيضُ يمينه لم يفتر ^٤
والشاعر :

إذا هبّ علويّ الرياح وجدّني كأنّي لعلويّ الرياح نسيب ^٥
وما أنشدوا لجريّر :

إذا هبّ أرواحُ الشتاء الزعازع ^٦

تخالف كلها ما ذهبوا إليه .

شواهد على أنّ التذكير والتأنيث سواء : وهناك شواهد من الشعر يستوي
فيها التذكير والتأنيث لأنّه وقع الفصل بين " الريح " و " الفعل المستخدم
لها " فقال امرؤ القيس :

فلما تولّى من أعالي طميّة أبست به ريحُ الصبا فتحلبًا ^٧
وقال زهير بن أبي سلمى :
عفا ، من آل فاطمة ، الجواء فيُمنّ ، فالقوادم ، فالحساء
فذو هاش ، فميت عريّتنا عفتها الريح ، بعدك ، والسما ^٨

^١ سنن أبي داود ، رقم الحديث : ٣٥٣ .

^٢ لسان العرب : صرح .

^٣ ديوان الهذليين ، ١١٣/٢ .

^٤ ديوانه ، ص ٢٩١ .

^٥ الحماسة الشجرية ، ص ٥٧٨ .

^٦ المذكر والمؤنث للسجستاني ، ص ١٨٧ .

^٧ ديوانه ، ص ٤٥ ، أبسّ به : ساقط إليه السحاب ، وتحلب : سال .

^٨ ديوانه ، ص ١٣ .

وقال الأعشى الكبير :

ما النيل أصبح زاخراً من بحره جادت له ريح الصبا فتزعزعا
يوماً بأجود نائلاً من سيبه عند العطاء إذا البخيل تقنعا^١

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

وتمزج بالعذب عذب الفرا ت زعزعه الريح بعد المطر^٢

ورودها في القرآن الكريم : ولكن القرآن الكريم أوردتها مؤنثة في كل مكان من آياته ، فقال تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٦] .

وقال : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) . [يونس : ٢٢] .

وقال أيضاً : (وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) [الأنبياء : ٨١] .

وقال : (وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا تُخَلِّ خَاوِيَةً) [الحاقة : ٦ - ١٧] . وكذا قال : (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) [آل عمران : ١١٧] .

ملخص القول : ظهر مما سردناه من الشواهد الشعرية والنثرية أن كلمة " الريح " تعم مؤنثة ويقل مجيئها مذكرة ، ولكن كونها مذكرة ليس فقط خاصاً بقبيلة أو بأنها تعني النشْر ، بل إنها أيضاً تدل على معنى الهواء . فظهر من هذه الشواهد الجديدة أن قول النحاة ومن تبعهم لا يقوم على تتبع كلام العرب والحديث النبوي الشريف .

^١ ديوانه ، ٦٨٠/٢ .

^٢ ديوان الهذليين ، ١٤٩/١ .

تعليم قواعد اللغة العربية للناطقين بغيرها في الهند : إشكاليات ورؤى علاجية

الأستاذ أكرم نواز الندوي ، دهلي - الهند

تُعدّ اللغة العربية من أهم اللغات الحية في العالم ، وقد اكتسبت مكانتها بفضل أهميتها الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية . ولها مكانة خاصة في الهند ، حيث يمتد التواصل بين الحضارة الإسلامية والثقافة الهندية إلى أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد ترك هذا التواصل أثراً واضحاً في الحياة العلمية والثقافية واللغوية في شبه القارة الهندية . وفي هذا السياق يشير أحد الباحثين إلى أن : " احتلت اللغة العربية مكانة بارزة عند الهنود عبر قرون ماضية ، ويمكن ملاحظة ذلك في مختلف نواحي المجتمع الهندي . والدليل على تأثير اللغة العربية في الهند استخدام المصطلحات والتعبيرات العربية والكلمات المشتقة منها في اللغة الأردية والهندية والمليالية وغيرها من اللغات الهندية الأخرى " ^١ .

غير أن تعلم اللغة العربية يواجه لدى الطلبة الهنود عدداً من الصعوبات ، ترجع في جانب منها إلى الاختلاف البنوي بين العربية واللغات الهندية . فالعربية لغة اشتقاقية جذرية تصريفية معربة ، ذات نظام نحوي وصرفي دقيق ، وهي خصائص لا نجد لها مقابلاً كاملاً في معظم اللغات الهندية .

وتظهر هذه الصعوبات بصورة خاصة في فهم القواعد النحوية والعلاقات الإعرابية وتوظيفها في التعبير الشفهي والكتابي ، إلى جانب الخلط في التذكير والتأنيث والتأثر بأنماط اللغة الأم . ومن هنا تتمحور مشكلة هذا البحث حول الكشف عن أبرز الصعوبات التي يواجهها الطلبة الهنود في تعلم قواعد العربية ، وتحليل أسبابها اللسانية والتربوية ، واقتراح الحلول التي يمكن أن تسهم في تيسير اكتسابها وتحسين الأداء اللغوي لدى المتعلمين .

^١ م . د . منى محمد عباس الخطيب ، م . م . حسنين حسن شهيد ، أثر اللغة العربية في اللغة الهندية : تاريخياً ولغوياً ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، حزيران ، ٢٠١٧م ، العدد ٣٣ .

فروق لسانية بين العربية واللغات الهندية : المستوى الصوتي :

تتميز اللغة العربية بأصوات لا توجد في معظم اللغات الهندية ، مثل العين والحاء ، والصاد والضاد والطاء والظاء ، والحاء والغين . ولذلك يواجه كثير من الطلبة الهنود صعوبة في نطقها والتمييز بينها ، وغالباً ما يستبدلونها بأصوات قريبة من أصوات لغاتهم الأم . ولا تقتصر هذه الصعوبة على النطق ، بل قد تمتد إلى الكتابة وفهم المعاني ، نظراً إلى أن اختلاف الصوت قد يؤدي إلى اختلاف المعنى . وفي هذا السياق ، كما يقول البروفيسور أيوب خان الندوي :

" لا يميّز معظم الطلبة الهنود ، بل وحتى عدد من المعلمين ، بين نطق أصوات الضاد والذال والزاي والظاء ، إذ تُنطق هذه الأصوات جميعها لديهم على هيئة " ز " . ولذلك ينطقون كلمة " الضالين " على صورة " الزالين " . وكذلك يعجز كثير منهم عن نطق حرف العين نطقاً صحيحاً ، فيستبدلونه بالهمزة ، مما يجعل كلمتي " العلم " و " الألم " متشابهتين في النطق لديهم .

الجانب الصرفي :

يُعدّ النظام الصرفي العربي من الجوانب التي يواجه فيها المتعلم الهندي صعوبة ، إذ تقوم العربية على نظام الجذور والأوزان ، فتتفرع من الجذر الواحد مجموعة من الكلمات المترابطة في المعنى ، مثل : كتب ، وكاتب ، ومكتوب ، ومكتبة ، وكتابة . أما اللغات الهندية ، فتعتمد في كثير من مفرداتها على السوابق واللواحق ، ولا يوجد فيها نظام مماثل لنظام الجذور والأوزان العربي . ولذلك يجد كثير من الطلبة الهنود صعوبة في فهم الأوزان الصرفية واستنتاج معاني الكلمات المشتقة منها .

الجانب النحوي :

يُعدّ الجانب النحوي من أكثر الجوانب التي يواجه فيها الطلبة الهنود صعوبة عند تعلم اللغة العربية . فالعربية تعتمد اعتماداً كبيراً على الإعراب في تحديد وظائف الكلمات داخل الجملة ، حيث يمكن للحركة في آخر الكلمة أن تغيّر معناها أو موقعها النحوي . أما معظم اللغات الهندية ، فتعتمد بدرجة أكبر على ترتيب الكلمات أو أدوات الربط للتعبير عن العلاقات النحوية ، دون أن يكون للإعراب الدور نفسه

الذي نجده في العربية .

" في اللغة العربية ، يمكن للكلمة نفسها أن تأتي في عدة حالات إعرابية بحسب موقعها في الجملة . على سبيل المثال ، الكلمة " كتاب " قد تكون " كتابٌ " مرفوعة إذا كانت فاعلاً ، أو " كتاباً " منصوبة إذا كانت مفعولاً به ، أو " كتابٍ " مجرورة إذا كانت جزءاً من مجرور . هذا التعدد يوفر للغة العربية مرونة كبيرة في التعبير عن المعاني ، ويُجبر المتعلم على الفهم العميق للروابط النحوية بين الكلمات في الجملة " ¹ .

ولهذا يجد كثير من المتعلمين صعوبة في فهم القواعد الإعرابية وتطبيقها في الكتابة والتعبير الشفهي ، مما يفسر جانباً من الأخطاء النحوية التي يقع فيها الطلبة الهنود أثناء تعلم العربية . وإلى جانب هذه الصعوبات الصوتية والصرفية والنحوية ، يواجه المتعلمون صعوبات أخرى ، منها التذكير والتأنيث ، إذ لا يقتصر التأنيث في العربية على المؤنث الحقيقي ، بل يشمل أسماء مؤنثة بالاصطلاح ، مثل " الشمس " ، في حين يُعدّ " القمر " مذكراً . كما يجدون صعوبة في نظام التنثية الذي لا يوجد له نظير مماثل في معظم اللغات الهندية ، وفي جموع التكسير لتعدد أوزانها وعدم خضوعها لقاعدة واحدة ثابتة . ويضاف إلى ذلك الأفعال المعتلة وما يطرأ على حروف العلة فيها من حذف أو قلب أو إبدال ، مما يزيد من صعوبة استيعاب تصريفها وتطبيق قواعدها بصورة صحيحة .

التحديات التعليمية التي يواجهها طلاب اللغة العربية في الهند :

ولا تقتصر الصعوبات التي يواجهها الطلبة الهنود في تعلم العربية على الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية ، بل تمتد إلى عوامل تربوية وتعليمية تؤثر في مستوى تحصيلهم اللغوي ، ولا سيما المناهج وطرائق التدريس والبيئة التعليمية . ومن أبرز هذه العوامل اعتماد بعض المناهج على أساليب تقليدية تركز على حفظ القواعد والنصوص أكثر من تنمية مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة ، فضلاً عن عدم مراعاة بعض المقررات للفروق اللغوية والثقافية بين العربية واللغات الهندية واحتياجات المتعلمين الفعلية ، مما يحد من قدرتهم على توظيف اللغة في

¹ د . فاطمة أبو صالح ، مظاهر التعقيد النحوي والصرفي وعلاقتها بعوائق تعلم اللغة العربية ، مجلة أوراق الثقافة ، العدد ٤٠ ، نوفمبر ٢٠٢٥ م .

مواقف التواصل الحقيقية .

كما يقول الأستاذ مجيب الرحمن الندوي ، رئيس القسم السابق في مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو ، في مقابلة مع مجلة الفيصل :

"ثمة عوامل عدة ، داخلية وخارجية ، تحول دون تعزيز وتطوير أساليب تعليم اللغة العربية في الهند ، أهمها أن مناهج التعليم في معظم المدارس الدينية قد عفا عليها الزمن ، ولم تخضع بالتالي للتعديلات اللازمة التي من شأنها أن تتواءم وتطورا بيداغوجيا التعليم الحديثة ؛ فاللغة بوصفها وسيلة تعبير وتواصل مع الآخرين ، يجب تعلمها وتعليمها لتفي بهذا الغرض وتؤهل حاملها ليكون مرناً ، ومواكباً لتحولات الزمن والاجتماع ومتغيرات العلم والثقافة ، من دون المس طبعاً بالهوية الدينية ورسالتها ومعانيها . وهذا ما تفتقده مدارسنا الدينية (ما خلا استثناءات قليلة منها) التي تنظر إلى لغة الضاد بوصفها حاضنة للعلوم الإسلامية فقط ، بمعزل عن اعتمادها لغة تعبير وتواصل مع الآخر ، نطقاً وكتابة . ثم إن أغلبية مؤسسات التعليم الديني في الهند تفتقر إلى الوسائل العلمية والتقنية المساعدة لعملية التعليم المتحركة ذاتها . وعليه يجب تزويدها بالمساعدات المادية المطلوبة لتحل مشكلاتها على هذا الصعيد " ^١ .

ويضاف إلى ذلك ضعف الدافعية لدى بعض الطلبة لتعلم اللغة العربية ، خاصة في المؤسسات التي تُدرّس فيها العربية بوصفها مادة دراسية إلزامية لا خياراً شخصياً للطالب : " إن أكبر مشكلة يواجهها الطالب حين دراسة اللغة العربية هو عدم حبه لتعلمها ، والشوق إلى إتقانها ، والرغبة الجامحة في إجادتها ، وإنما يختار هذه المادة بإجبار من أعضاء الأسرة ، وإرغامهم على تعلمها ودراستها ؛ فيضيع وقته ، ويرجع إلى بيته كما كان من قبل ، فلا نتغلب على هذه المشكلة إلا أن نفرس حب اللغة والغيرة عليها ببيان فضلها وفوائدها ، وجعلها سبب الافتخار والاعتزاز به ، أو نيل المكانة العليا في الدارين جميعاً " ^٢ .

^١ بروفييسور مجيب الرحمن ، " اللغة العربية هويتنا وإن كنا عجماً " ، حاوره أحمد فرحات ، مجلة الفيصل ، ١ سبتمبر ٢٠٢٣ م .

^٢ سجاد حسين بن داود القاسمي ، مشاكل الحصول على اللغة العربية لغير الناطقين

ويؤثر ضعف الدافعية لدى بعض الطلبة في مستوى تعلمهم ، ولا سيما عندما لا يرون ارتباطاً واضحاً بين تعلم العربية وأهدافهم الأكاديمية أو المهنية ، مما قد يقلل من اهتمامهم ومثابرتهم . كما أن محدودية البيئة اللغوية خارج قاعة الدرس تقلل من فرص ممارسة العربية والتواصل بها ، فيظل ما يكتسبه الطالب في كثير من الأحيان في حدود المعرفة النظرية دون أن يتحول إلى مهارة تواصلية عملية . ويضاف إلى ذلك تفاوت مستوى تأهيل معلمي العربية ، إذ يفتقر بعضهم إلى التدريب المهني الكافي وإلى أساليب التدريس الحديثة ، مما قد يؤدي إلى استمرار الاعتماد على التلقين والحفظ بدلاً من التفاعل والممارسة .

وعليه ، فإن معالجة الصعوبات التي يواجهها الطلبة الهنود في تعلم اللغة العربية لا تقتضي التركيز على الجوانب اللغوية وحدها ، بل تتطلب أيضاً تطوير المناهج التعليمية ، وتعزيز دافعية المتعلمين ، وتوفير بيئة لغوية أكثر فاعلية ، والارتقاء بمستوى إعداد معلمي اللغة العربية وتدريبهم على أحدث الأساليب التربوية . فهذه العوامل مجتمعة تشكل ركائز أساسية لتحسين تعليم العربية وتمكين المتعلمين من اكتسابها بصورة أكثر فاعلية وكفاءة .

الحلول والمقترحات :

تتطلب معالجة الصعوبات التي يواجهها الطلبة الهنود في تعلم اللغة العربية تعاون المعلم والمتعلم والمؤسسة التعليمية ، واعتماد رؤية متكاملة تراعي طبيعة اللغة وخصوصية البيئة التعليمية في الهند .

أولاً : الحلول المتعلقة بالمعلمين :

يُعدّ المعلم عنصراً أساسياً في نجاح تعليم اللغة العربية ، ولذلك ينبغي تأهيله لغوياً وتربوياً ، وتعريفه بطرائق تعليم العربية للناطقين بغيرها وبالصعوبات الخاصة التي يواجهها الطلبة الهنود . كما ينبغي توفير دورات تدريبية وورش عمل بصورة مستمرة ، والاستفادة من خبرات المؤسسات المتخصصة في تعليم العربية .

ومن المهم الانتقال من أسلوب التلقين والحفظ إلى أساليب أكثر تفاعلاً ، كالحوار والمناقشة والعمل الجماعي والأنشطة اللغوية ، مع

بها في الهند : أسبابها وحلولها ، مجلة الداعي ، دار العلوم ديوبند ، مايو - يوليو ٢٠١٨م ، العدد : ٩ - ١٠ .

مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين . وينبغي كذلك التركيز على الأخطاء الشائعة لدى الطلبة الهنود وتقديم تدريبات عملية متدرجة تساعدهم على فهم القواعد وتطبيقها ، بدلا من الاقتصار على حفظها .

ثانياً : الحلول المتعلقة بالطلبة :

للطالب دور أساسي في نجاح عملية تعلم اللغة ، ولذلك ينبغي أن يدرك أهمية العربية وقيمتها العلمية والمهنية والثقافية ، وألا ينظر إليها على أنها مجرد مادة دراسية ، بل وسيلة للمعرفة والتواصل . كما يمكن تعزيز دافعيته من خلال ربط تعلمها بالفرص الأكاديمية والمهنية المتاحة في مجالات مختلفة .

وينبغي للطلاب أن يحرص على ممارسة اللغة خارج المقرر الدراسي من خلال القراءة والاستماع إلى المواد العربية ، واستخدام ما يتعلمه من قواعد ومفردات في الحديث والكتابة . كما أن المشاركة في الحوارات والمناظرات والعروض الشفوية والأنشطة اللغوية تساعده على اكتساب الثقة وتحويل معرفته النظرية إلى مهارات تواصلية عملية .

ثالثاً : الحلول المتعلقة بالمنهج والمؤسسات التعليمية :

يتطلب تطوير تعليم اللغة العربية في الهند تحديث المناهج بما يتناسب مع احتياجات الطلبة ومستوياتهم ، والانتقال من التركيز على حفظ القواعد والنصوص إلى تنمية مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة . كما ينبغي تقديم القواعد النحوية والصرفية في سياقات عملية تساعد المتعلم على فهمها واستخدامها في التواصل .

وعلى المؤسسات التعليمية توفير بيئة مناسبة لممارسة العربية من خلال الوسائل التعليمية الحديثة ، والأندية اللغوية ، والأنشطة الثقافية والمسابقات والندوات . كما ينبغي الاهتمام بالتدريب المستمر للمعلمين وتعزيز التعاون مع المؤسسات والجامعات العربية المتخصصة . ومن المهم كذلك ربط تعلم العربية بالفرص الأكاديمية والمهنية المتاحة ، بما يساهم في رفع دافعية الطلبة وتحسين مستوى تعلمهم .

الخاتمة :

خلص البحث إلى أن صعوبات تعلم العربية لدى الطلبة الهنود ترجع إلى فروق لغوية وتعليمية متعددة . ويتطلب تجاوزها تطوير المناهج ، وتأهيل المعلمين ، وتعزيز دافعية الطلبة ، وتوفير فرص أكبر لممارسة اللغة ، بما يساهم في تحسين مستوى تعلمها واستخدامها .

جولة علمية

في تراث الدكتور محمد الوكيل

(الحلقة الأولى)

إعداد : د / أبو سحبان روح القدس الندوي*

أما الدكتور محمد السيد الوكيل (١٩٣٩ - ٢٠٠٨م) فهو من أساتذتي الكبار ، درستُ عليه مادة " أسس الدعوة وآداب الدعاة " في السنة الثانية من كلية الدعوة وأصول الدين ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٧م ، ألقىت هذه المحاضرات علينا ثم وزَّعت " مذكرة " إذ ظهرت إلى عالم النور كتاباً مفيداً ، وعمّ الكتاب وانتشر ، لعله باكورة مؤلفات الأستاذ محمد الوكيل .

أستاذي هذا كان قصير القامة ، نشيطاً قوياً ، متين البنية ، قويّ اللهجة ، سريع المشي على قدميه ، رأيته غير مرة قبيل الجمعة في رحاب الحرم المدني ، ماراً بالمظلة (Sun Shade) إلى داخل المسجد النبوي ، حاملاً السجادة بيمينه . كان حسن الخلق ، طليق الوجه ، مقبلاً على طلابه حيثما لقيهم .

أما أسلوب إلقاءه المحاضرة ، فكان فيه عديم النظير ، منطلق اللسان ، قويّ البيان ، غلبت عليه اللهجة المصرية المتميزة ، لكونه مصري المولد والمنشأ ، تلقى تعليمه في " معهد طنطا الديني " ، والتحق بجامعة الأزهر ، وتخرج فيها ، وفيها تعرّف على دعوة " الإخوان المسلمين " ، وحينما تعرضت للمحنة عام ١٩٦٥م ، هاجر محمد الوكيل إلى السعودية حيث منحه الملك فيصل رحمه الله الجنسية السعودية (Saudi Nationality) ، ومن ثم انضم إلى هيئة التدريس (Teaching Staff) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وعمل أستاذاً للدعوة ثم التاريخ الإسلامي ورئيساً لقسم التاريخ ، ثم عميداً لكلية اللغة ، وخلال عمله في الجامعة أحرز شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها ثم عميداً لكلية اللغة ، وخلال عمله في الجامعة أحرز شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها بعنوان :

* قسم الاختصاص في علوم الحديث الشريف بدار العلوم لندوة العلماء ، لكاناؤ (الهند) .

"موسوعة المدينة المنورة التاريخية" ، اجتوت هذه الموسوعة على خمسة أجزاء كلها مطبوع ذائع ، ولنا عود قريباً إلى التعريف بها بإذن الله تعالى . كان أستاذي محمد الوكيل يحب شيخنا أبا الحسن الندوي رحمه الله ، ومشايخ " ندوة العلماء " ، فكلما كانوا يأتون المدينة يزورهم أستاذي ، وقد جاء الأستاذ مدينة لکنائ ، ولم يلبث غير ساعات ، ثم راح على طول إلى " رائ بريلي " مقر الشيخ الندوي ، وكانت الأيام أيام إجازة في دار العلوم ، فلم يُحتفل به ، وإنني قد لقيت له لقاء قصيراً ، وأنا جد سعيد للتلمذة على أمثال الدكتور محمد الوكيل رحمه الله وغفر له ، وأدخله فسيح جناته .

وها أنا أذكر دراسة طائفة من مؤلفاته وسرد قائمتها فيما يلي :
أسس الدعوة وأداب الدعاة : أبان المؤلف في كتابه هذا أسساً رئيسية للدعوة ، وحاجة العالم إلى الدعاة بوسائل مختلفة للتمكن من إيصالها إلى المدعوين ، ثم تناول آداب الدعاة ، ومجالات عمل الدعوة ، وشروط الناصح ، والنصيحة ، والخطة المثلى للعمل ، وتعرض له في آخر كتابه " أثر الإيمان في المجتمعات وصلة الإسلام بالإنسان " ، معتمداً في جمع المعلومات على كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب التفسير والسيرة قديمها وحديثها ، والكتاب فيما أرى مفيد جداً للعاملين في حقل الدعوة .

كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري : نشرته دار المجتمع بجدة عام ١٩٨٦م ، وهو كما أفاد المؤلف قائلاً : " هو تاريخ حركة عالمية " (ص : ٥) ، وأوضح هدفه المنشود من تأليفه : قائلاً : " إن تاريخنا يجب أن يكتب ليكون فيه قدوة لمن ي خلفنا من حمل الأمانة ، ولا أريد أن يكتب كما تكتب القصة ، ولا أن يسرد كما تسرد الأحاديث ، ولكن يكتب كتابة تحليل للأحداث ، وتقويم للمواقف ، وتخطيط للمستقبل ، وتنسيق للنتائج " .

وواصل المؤلف إبان وجه التأليف : " أريد أن يكتب التاريخ كعبر نستخلصها من أحداثه ، ونحدد على ضوئها مواقفنا وعلاقاتنا " (ص : ٦) .
عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها : دار الأنصار ، القاهرة عام ١٤٠٢هـ .

من الأمور التي عني بها الإسلام عناية فائقة بتخطيط المدن وعمارتها .

اختار المؤلف هذا الموضوع ليبين مدى تقدم المسلمين في عمارة

المدن وتخطيطها ، وبيّن أن الإسلام له قصب السبق في هذا المضمار ، ويتضح للعالم مدى الحضارة التي وصل إليها المسلمون في التعمير والتخطيط في وقت كانت الدنيا فيه تعيش في فوضى واضطراب (ص : ٤) .
وقد خُطّطت المدن على أساس الميادين الفسيحة والشوارع الوسيعة ، واختيرت أماكن خاصة للمشاة والمدارس ، واهتم المسلمون بذلك اهتماماً بالغاً لعلمهم بأن ذلك سيعود عليهم بفوائد جليّة ، أجملها المؤلّف فيما يأتي من المجالات :

(١) صحية (٢) اجتماعية (٣) اقتصادية (٤) سياسية

وفصل كلّ مجال ، وأنهى كلمته قائلاً :

"من أجل هذا كان التخطيط ضرورة يسعد الناس في حياتهم ، ويعيشوا مطمئنين على مستقبله ومستقبل أبنائهم" (ص : ٩٥) .

وجعل البحث في ثلاثة فصول :

الأول : اهتمام المسلمين بتخطيط المدن

الثاني : خصائص التخطيط في المدن الإسلامية

الثالث : وسائل المسلمين في تعمير المدن

جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين : دار المجتمع جدة ، ط : الثانية ١٩٨٧ م .

"التاريخ هو الترجمة العلمية للأمم ، وهو المجد الذي تعيش عليه الأجيال المتعاقبة يعتز به كل جيل ، لأنه حياة الآباء والأجداد ، يرى فيه الأسوة التي يقتدي بها ، والمثل الذي يحتذي به" .

"والتاريخ الإسلامي صفحة ناصعة من حياة الأمة التي ربّاهما الإسلام ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، يرى فيه كل مسلم شباب أمته ، ويتعلم من خلاله دروساً في الشجاعة والإقدام ، والصبر والحلم ، والورع والزهد ، والفضائل والأخلاق ، والقيم والمثل التي لا حياة للأمم بدونها" .
ولهذا كان لزاماً على كل مسلم أن يعرف تاريخ أمته من مصادره المعتمدة الموثوق بها ... " ^١ .

لاجرم ، أن هذا الكتاب من أكبر كتب المؤلّف حجماً وضخامةً ودراسةً ، تناول فيه عصر الخلفاء الراشدين ، تحليلاً وتعليقاً ، ولم يقصد به المؤلّف سرد الأحداث ، وإنما عالج ما وراء تلك الأحداث وما في طي

^١ انتزاعاً من "الخاتمة" من الجزء الثالث من موسوعة المدينة التاريخية (ص : ١٧٣) للمؤلّف .

تلك الفترات من حوافز وظروف وملابسات ، ثم مؤامرات قد حيكت إزاءها ، فاعتنى المؤلف بدراسة وصفية تحليلية لأحداث تلك الفترة .
وحقاً أن هذه المحاولة الصعبة إنما هي في الواقع الملموس " جولة تاريخية " في عصر الخلفاء الراشدين بكل معنى الكلمة والمدلول والمحتوى .

" لهذا كان لزاماً على دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه والحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي اكتتفت تلك الأحداث قبل أن يحكم عليها حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب في تلك الجزئية التاريخية " ^١ .

أما الغرض من دراسة التاريخ فهو جعله ميداناً تعرض فيه لأحداث الماضي البعيد على صفحات الحاضر الذي يعيشه الإنسان ، وترسم فيه سياسة المستقبل على ضوء ما يمليه الحاضر ، وبذلك تخرج التاريخ من حيز النظريات الضيق إلى ميدان التطبيق العملي الفسيح ، وتكون أحداث التاريخ نماذج للأجيال ، لا فلسفة يجترها المعلمون ويهيم في خيالها المتعلمون " ^٢ .

موسوعة المدينة المنورة التاريخية : هي رسالة دكتوراه أحرزها المؤلف في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تضم هذه الموسوعة خمسة أجزاء مستقلة ، كلها من منشورات دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة ، وهي :

- يثرب قبل الإسلام
- المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى
- الحركة العلمية في المدينة المنورة
- المسجد النبوي عبر التاريخ
- المدينة المنورة معالم وحضارة

(١) **يثرب قبل الإسلام :** ط : الأولى عام ١٩٨٦م ، يشتمل هذا الجزء على خمسة فصول ، ومقدمة وتمهيد ، ذكر المؤلف في المقدمة حب العرب المدينة في الجاهلية وولوع المسلمين بها بعد الهجرة إليها ، فلا غرابة إذن أن تكون للمدينة منزلة في نفوس الناس ومحبة في قلوبهم .

والتمهيد تناول نشأة يثرب وتسميتها ، وموقعها ووصفها ، وختم المشوار بذكر مركز يثرب في الجزيرة العربية ، ثم خاض المؤلف في

^١ مقدمة كتاب " جولة تاريخية ... " ، (ص : ٦) .

^٢ المرجع نفسه ، (ص : ٨) .

صلى الله عليه وسلم ، ووزعه على خمسة فصول آتية :
• السكان • الحياة الدينية • الحياة السياسية • الحالة الاقتصادية
• الحالة الاجتماعية .

وأعطى كل فصل ما يستحق من العناية .

(٢) **المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى** : ط : الأولى ١٩٨٦م أيضاً ،
تناول المؤلف فيه قيام دولة الإسلام الأولى ، والأسس التي قامت عليها ،
وبيّن نظام الحكم فيها ، كما تناول الأحكام السياسية والاجتماعية
والاقتصادية من خلال النظام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
وأرسى قواعده ، وعمل به الخلفاء الراشدون ، فأقاموا صرح هذا الدين ،
وفتحوا بلاد الفرس والروم ، وبسطوا سلطان الإسلام على أكبر رقعة
عرفها التاريخ تحت حكم دولة واحدة يحكمها حاكم واحد (ص : ٥) .
ويرى القارئ في هذه الفصول من الكتاب روعة النظام الإسلامي
في نواحي الحياة المختلفة مما يثبت جدارة الإسلام لحكم الدنيا حكماً
يكفل للناس السعادة ، ويضمن لهم الأمن والرخاء (ص : ٥ وبعدها) .

والكتاب يشمل فصلاً أربعة ، وهي :

- (الحالة الدينية) : تأسيس الدولة الإسلامية
- (الحالية الاجتماعية) : التنظيم الداخلي
- (الحالية السياسية) : السياسة الداخلية
- (الحالة الاقتصادية) : أسس الاقتصاد الإسلامي

(٣) **الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه** : ط : الثانية ١٩٨٩م .

وقد تناول المؤلف في هذا الجزء من الموسوعة التاريخية الحركة
العلمية أولاً في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وثانياً في عصر
الخلفاء الراشدين ، وبيّن المؤلف في كلا العصرين النهضة الثقافية
والفكرية التي أحدثها الإسلام بين أفراد هذه الأمة ، وكيف أخذ
بأيديهم ليكونوا رواداً للحركة العلمية العالمية التي غيرت المفاهيم البالية ،
وأرست للعلم قواعد لا تختلف مع العقل البشري ، ولا تتنافى مع التشريع
الإلهي (ص : ٥) .

وأكد المؤلف أن الإسلام قد وضع نظاماً للتعليم وحدّد العطلات
الأسبوعية للمتعلمين ، وأن طرق التدريس التي يستعملها اليوم ليست وليدة
الفكر المعاصر ، وإنما هي قديمة وذات جذور عميقة ، وضع الرسول
صلى الله عليه وسلم أساسها وهو يعلم أصحابه (ص : ٥) .

وأضاف قائلاً : " ولم يكن منهج التعليم في الإسلام منهجاً عشوائياً ، ولكنه كان منهجاً مرحلياً مخططاً ، ولم يغفل الإسلام حق المرأة في التعليم ، بل أعطاها حظها منه كاملاً غير منقوص ، والإسلام قد أحل المدرس المكانة اللائقة به ، وألزم الطلاب بآداب يجب أن يلتزموها مع معلمهم (ص : ٥ وبعدها) .

وقد زاد المؤلف إفادة : " وقد اتسعت تلك الحركة في عصر الخلفاء ففتحت الكتاتيب ، ودرست فيها غير العلوم الدينية وعلوم العربية إلى جانب حفظ القرآن الكريم ، وعرفت إلى جانب ذلك كله علوم نبغ فيها المسلمون كعلوم الأنساب والحساب والفرائض ، والعلوم العسكرية ، والعلوم الإنسانية كعلوم الجغرافيا والتاريخ ، وكذلك كانت لهم معرفة بعلوم الطب والعقاقير الطبية (ص : ٦) .

كما تناول المؤلف في هذا الجزء من الموسوعة الفتنة العمياء التي أشعل ناراها أناس ليسوا من الإسلام في شيء ، محاولاً تحليل شخصيات المتمردين ، وموضحاً الأسباب الحقيقية لتلك الفتنة الهوجاء ، مناقشاً بعض مشاهير الكتاب في آرائهم التي لم تبين على أسس علمية صحيحة ، لإظهار وجه الحق فيما تعرضوا له (ص : ٦) .

وختم المؤلف هذا الجزء من الموسوعة ببيان نتيجة هذا التحول عن المدينة ونقل الخلافة إلى الكوفة ، ثم إلى دمشق وأثر ذلك سياسياً واقتصادياً في المدينة المنورة .

وأن كل ما يدّعي علماء التربية المحدثون أنه ابتكار وإبداع لم يعرفه العالم من قبل ، إنما هو ادعاء غير صحيح (ص : ٦) .

وأفاد المؤلف وأجاد قائلاً : " لقد عرف المسلمون في هذا العصر الذي نتناوله ، طرق التدريس قبل أن يولد علماء التربية ، عرفوا الطريقة الاستقرائية ، والطريقة الحوارية ، وطريقة الإلغاء ، كما وضعوا المناهج المناسبة لكل المستويات الفكرية (ص : ٦) .

ومحتوى الكتاب في أربعة فصول :

- الحركة العلمية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
 - الحركة العلمية في عصر الخلفاء الراشدين
 - الفتنة تطل بقرونها
 - أثر الثورة في المدينة
- (للبحث صلة)

العلامة غلام علي آزاد البلغرامي :

دراسة في شخصيته العلمية والفكرية من خلال آثاره

البروفيسور حبيب الله خان *

يُعَدُّ العلامة غلام علي آزاد البلغرامي (١١١٦ - ١٢٠٠هـ / ١٧٠٤ - ١٧٨٥م) من أبرز أعلام الهند في القرن الثاني عشر الهجري ، ومن الشخصيات الموسوعية التي جمعت بين المعرفة الواسعة ، والإبداع الأدبي ، والتمكن من العلوم العربية والإسلامية ، حتى غدا اسمه علما بارزا في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية . ولم تقتصر شهرته على الأوساط العلمية في الهند ، بل تجاوزتها إلى العالم العربي ، حيث حظي بتقدير العلماء والأدباء ، ونال إعجاب عدد من حكام الأقطار العربية ، الأمر الذي يعكس المكانة العلمية والأدبية التي تبوأها في عصره .

ومن أبرز الشواهد على ذبوع صيته في البلدان العربية الرسالة التي بعث بها إليه ملك عُمان (مسقط) ، أحمد بن سعيد البوسعيدي ، إثر اطلاعه على كتابه " سبحة المرجان في آثار هندوستان " ^١ إذ استهلها بقوله :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المتوكل عليه المعتصم به ، إمام المسلمين أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد أبي سعيد ، إلى حضرة أفصح الأمة لساناً ، وأبرعهم بياناً ، وأثبتهم نقلاً ، الشيخ الأستاذ ، علامة الدهر ، وفريد العصر ، آزاد الحسيني الواسطي البلغرامي ، سلمه الله تعالى ، الذي أحيا رسوم الفصاحة بعد أن عفت ، وأطلع شمسها بعد أن انكسفت ، وأجرى مياهها بعد أن غاضت ، وشيّد أركانها بعد أن أنهارت " ^٢ .

* الجامعة المليية الإسلامية .

^١ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ، سبحة المرجان في آثار هندوستان ، (عدد الصفحات ٤٧٢) ، (تحقيق : محمد سعيد الطريحي) ، ط ١ ، (بيروت - لبنان دار الرافدين ، ٢٠١٥م) .

^٢ گل رعنا ، مخطوط ، مكتبة خدا بخش باتقا ، الرقم : HL٢٣٤ ، ص ٩ . للتفصيل راجع إلى أطروحة الدكتوراه لغلام زرقاني ، وهي غير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢م .

ولا تمثل هذه الرسالة مجرد إشادة أدبية ، بل تُعد وثيقة تاريخية ذات دلالة علمية ، تكشف عن المكانة التي بلغها البلغرامي في الأوساط الثقافية العربية ، وتؤكد أن إنتاجه الفكري والأدبي كان محل تقدير خارج حدود الهند . ومن هذا المنطلق ، تسعى هذه الدراسة إلى استجلاء ملامح شخصية العلامة غلام علي آزاد البلغرامي ، كما تنعكس في مؤلفاته ، وذلك من خلال تحليل آثاره العلمية والأدبية ، واستقراء ما تكشف عنه من سماته الفكرية ، ومنهجه في التأليف ، ورؤيته للعلم والأدب ، وإسهامه في ترسيخ الصلات الثقافية بين الهند والعالم العربي .

إذا أردنا أن نستجلي شخصية العلامة غلام علي آزاد البلغرامي من خلال مؤلفاته ونشاطه العلمي ، وجدناه شخصية موسوعية نادرة ، اجتمعت فيها خصالٌ قلَّ أن تجتمع في عالم واحد ؛ فقد كان ربانيا ، وداعية ، وشاعرا ، وأديبا ، وناقدا ، ومؤرخا ، ومترجما ، وشارحا ، إلى جانب تبخره في مختلف العلوم الإسلامية واللغوية . وقد أجمع مؤرخو الأدب والثقافة في الهند على أنه من أكثر علماء القرون الوسطى إنتاجا وتأليفا ، حتى لم يضارعه في غزارة الإنتاج ، فيما ذكروا ، سوى اثنين من كبار أعلام الهند ، هما الإمام ولي الله الدهلوي والأمير صديق حسن خان القنوجي .

وُلد العلامة غلام علي آزاد سنة ١٧٠٤م في أسرة علمية عريقة تنتمي إلى مدينة واسط العراقية ، وقد هاجرت هذه الأسرة إلى بلدة بلغرام بالهند في عهد السلطان شمس الدين ألتمش^١ ، قبل ما يقرب من قرنين من ميلاده . وكانت بلغرام آنذاك إحدى الحواضر العلمية البارزة في الهند ، واشتهرت بإنجاب عدد كبير من العلماء والأدباء الذين أسهموا إسهاما جليلا في خدمة العلوم الإسلامية والعربية . ومن أشهر أعلامها أوجد الدين البلغرامي ، والمرتضى الزبيدي البلغرامي ، ومحمد أشرف البلغرامي ، والشيخ بهاء الدين البلغرامي ، وغيرهم من الشخصيات العلمية التي تركت آثارا خالدة في ميادين العلوم الدينية واللغوية .

وقد نشأ آزاد في هذه البيئة العلمية الزاخرة ، فكان لذلك أثر بالغ في تكوين شخصيته العلمية والفكرية . تلقى مبادئ العلوم على الشيخ ميرطفيل محمد البلغرامي ، أحد كبار علماء عصره ، ثم أخذ اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، من حديث وسيرة وغيرها ، عن جده لأمه

^١ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ، سبحة المرجان في آثار هندوستان ، (تحقيق : محمد سعيد الطريحي) ، ط ١ ، (بيروت - لبنان دار الرافدين ، ٢٠١٥م) ، ص ٥ .

الشيخ السيد عبد الجليل البلغرامي ، ودرس علم العروض على خاله الشيخ مير محمد البلغرامي ، كما تلقى التربية الصوفية على يد الشيخ لطف الله الحسيني .

وفي سنة ١٧٣٧م رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وكانت رحلته نقطة تحول في مسيرته العلمية ؛ إذ أقام بالمدينة المنورة ، ولزم الشيخ محمد حیات السندي ، فقرأ عليه الصحاح الستة ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، حيث اتصل بكبار علمائها ومحدثيها ، واستفاد منهم ، ولا سيما الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي ، الذي كان من مشاهير علماء الحديث في عصره . وقد أعجب علماء مكة بما سمعوه من قصائده في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمنحوه لقب " حسان الهند " ، وهو لقب يدل على ما بلغته شاعريته من منزلة رفيعة .

وبعد عودته إلى الهند أقام مدة في مدينة سورت ، ثم انتقل إلى إقليم الدكن استجابة لدعوة من نواب آصف جاه . وكان شديد الولع بالكتب واقتنائها ، فلما وجد في أورنج آباد مكتبة عامرة بالمصادر النفيسة أثر الإقامة فيها ، وانصرف إلى المطالعة والتأليف والتدريس ، حتى وافته المنية سنة ١٧٨٦م ، بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والأدبي .

وقد خلف العلامة تراثاً علمياً وأدبياً ضخماً باللغتين العربية والفارسية ، وكان إلى جانب ذلك متقناً للأردية والهندية والسنسكريتية ، مما مكنه من الإفادة من ثقافات متعددة وتوظيفها في مؤلفاته . ومن أشهر آثاره : " ضوء الدراري شرح صحيح البخاري " ، و " شمامة الغنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر " ، و " تسليية الفؤاد " ، و " شفاء العليل " ، و " غزلان الهند " ، و " سرو آزاد " ، و " يد بيضاء " ، و " خزانة عامرة " ، و " روضة الأولياء " ، و " مآثر الكرام في تاريخ بلغرام " ، و " الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل بلغرام " ، و " مظهر البركات " ، و " مرآة الجمال " ، و " رسالة في جواب الإيرادات " ، و " كشكول " ، فضلاً عن كتابه الأشهر " سبحة المرجان في آثار هندوستان " ، الذي ضم فيه خلاصات من عدد من مؤلفاته ورسائله ، فكان موسوعة حافلة تعكس سعة معارفه وتنوع اهتماماته .

ومع هذا التراث الثري ، لا يزال عدد من مؤلفاته حبيس المخطوطات ، ينتظر جهود الباحثين والمؤسسات العلمية لتحقيقه ونشره ، حتى يكتمل التعريف بإسهامات هذا العالم الموسوعي . ومن الوفاء العلمي

أن يُذكر في هذا المقام فضل الدكتور فضل الرحمن الندوي ، الذي قدّم خدمة جليّة لتراث البلغرامي بتحقيقه كتاب " سبحة المرجان في آثار هندوستان " ، كما أفرد له دراسات ومقالات علمية رصينة نُشرت في مجلة " ثقافة الهند " وغيرها من الدوريات ، وأسهمت في إبراز مكانته العلمية والتعريف بجوانب متعددة من تراثه .

وكما أشرنا في مستهل هذا المقال إلى أن العلامة غلام علي آزاد البلغرامي كان يجمع بين التزكية والدعوة والشعر والكتابة والنقد والتاريخ والترجمة والشرح ، فيجدر بنا أن نستجلي هذه الجوانب في ضوء آثاره ؛ إذ إن مؤلفاته تمثل خير شاهد على سعة معارفه وتنوع اهتماماته . ومن المعلوم أن الأدب ينقسم إلى أدب إنشائي وأدب وصفي ، وتدرج معظم مؤلفات العلامة ضمن الأدب الوصفي الذي يقوم على التوثيق والرصد والتراجم ، وهو ما يفسر غلبة الطابع العلمي على إنتاجه ، وإن لم يخلُ من النزعة الأدبية والذوق الفني .

وتتجلى نزعته الإحسانية في عدد من مؤلفاته ، وفي مقدمتها " روضة الأولياء " ، و " أنيس المحققين " ، و " مظهر البركات " . ويُعد هذا الأخير من آثاره الفريدة ، إذ نظمته باللغة العربية على نهج المثنوي الفارسي متأثراً بأسلوب الشيخ جلال الدين الرومي ، وجعل موضوعه التزكية وتهذيب النفس ومكارم الأخلاق . وقد قسمه إلى سبعة فصول ، نظمها في البحر الخفيف ، وألحق بكل فصل حكايات مختارة تتصل بموضوعه ، يغلب على بعضها الطابع الأدبي والفكاهي ، مما أكسب المنظومة بعداً تعليمياً وتربوياً إلى جانب قيمتها الفنية . ويبلغ عدد أبيات هذه المنظومة نحو (٣٧٠٠) بيت على وجه التقريب ^١ .

وأما شاعريته ، فهي تمثل جانباً بارزاً من شخصيته الأدبية ، بل تستحق دراسة مستقلة تكشف عن خصائصها الفنية ومضامينها الفكرية . وفي هذا السياق يقول الدكتور فضل الرحمن الندوي : " ومنذ بداية العهد الإسلامي وحتى العصر الحديث لا يوجد شاعر هندي كتب دواوين شعرية ضخمة باللغة العربية مثل دواوين آزاد ، وشعره بصفة عامة يجري على الأساليب الفارسية المعروفة ، كالقصيدة ، والغزل ،

^١ فضل الرحمن الندوي ، غلام علي آزاد البلغرامي وآثاره باللغة العربية ، (تعريب : الدكتور زبير أحمد الفاروقي) ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد ٣٨ ، العدد ٣ - ٤ ، عام ١٩٨٧م ، ص ١٣٤ .

والرباعي ، والقطعة ، والمستزاد ، والمثنوي ، ومعظم قصائده في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جمعها في مجموعة واحدة ^١ . وتؤكد هذه الشهادة المكانة المتميزة التي يحتلها آزاد في تاريخ الشعر العربي في الهند ؛ إذ يبلغ مجموع دواوينه نحو عشرة دواوين ، ويقارب مجموع أبياتها (١٢٥٠٠) بيت ، مما يجعله من أغزر شعراء الهند إنتاجا باللغة العربية .

ولم تقتصر إنتاجات العلامة على الشعر والتزكية ، بل برزت كذلك في ميدان النقد الأدبي ، ويشهد على كتابه "شفاء العليل في إصلاحات كلام أبي الطيب المتبني" ، الذي يكشف عن سعة اطلاعه ، ودقة ملاحظته ، وقدرته على مناقشة النصوص الأدبية وتقويمها وفق أسس علمية رصينة . وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب ، فإنه لا يزال محفوظا في عداد المخطوطات بمكتبة سالار جنغ ، ولم يرَ النور في طبعة علمية محققة حتى اليوم ، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من العناية بترائه النقدي وإبرازه للدارسين .

ويبرز الجانب التاريخي في شخصية العلامة غلام علي آزاد البلغرامي من خلال عدد من مؤلفاته التي تُعد من أهم مصادر التراجم والتاريخ الأدبي في الهند الإسلامية . فمن أبرزها كتاب "يد بيضاء" ، الذي أفرد فيه تراجم طائفة من الشعراء الهنود والفرس ، وكتاب "خزانة عامرة" ، الذي ترجم فيه للأمراء والوجهاء الذين كانت لهم صلة ببلاط الحكم ، مسلطا الضوء على حياتهم وآثارهم . كما ألف كتاب "مآثر الكرام" ، الذي خصّصه للتعريف بنخبة من العلماء والمتصوفة ، وأبرز فيه جهودهم العلمية وآثارهم الفكرية ، وكتاب "روضة الأولياء" ، الذي تناول فيه تراجم عدد من المشايخ المدفونين بمدينة خلد آباد في إقليم الدكن ، مع الإشارة إلى مناقبهم وآثارهم . أما كتاب "سير آزاد" ، فقد جعله معجما لتراجم نخبة من شعراء الفارسية في الهند ، مبينا مكانتهم الأدبية وإنتاجهم الشعري ^٢ .

وتكشف هذه المؤلفات ، مجتمعة ، عن علو كعب العلامة في فن

^١ نفس المصدر ، ص ١٢٥ .

^٢ غلام زرقاني ، أطروحة الدكتوراه ، وهي غير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢م ، ص ١١٩ .

^٣ فضل الرحمن الندوي ، غلام علي آزاد البلغرامي وآثاره باللغة العربية ، (تعريب : الدكتور زبير أحمد الفاروقي) ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد ٢٨ ، العدد ٣ - ٤ ، عام ١٩٨٧م ، ص ١٢٩ .

التراجم والتاريخ ، ودقة منهجه في جمع الأخبار وتوثيقها ، الأمر الذي جعله من أبرز مؤرخي الهند الإسلامية في القرن الثاني عشر الهجري . ولم تقتصر براعته على تدوين الأحداث وسرد التراجم ، بل امتدت إلى فن التاريخ الشعري واستخراج التواريخ من الآيات القرآنية ، وهو فن أدبي اشتهر به علماء ذلك العصر ، وأظهر فيه آ زاد براعته الفائقة .

ومن أمثلة ذلك أنه أرّخ لوفاة السيد لطف الله البلگرامي سنة (١١٤٣هـ) بالاقتباس من قوله تعالى : (في حَنَّةٍ نَعِيم) ، وقوله سبحانه : (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ، حيث توافق القيمة العددية لهاتين العبارتين سنة الوفاة ^١ . كما أرّخ لوفاة السيد القادري البلگرامي سنة (١١٤٥هـ) بقوله :

رحل القادري سيدنا صاحب الكشف والكرامات
ألهم الحق عام رحلته أن للمتتقي لجنات

ويعكس هذا اللون من التاريخ ما امتلكه العلامة من تمكن في علوم العربية ، وإحاطة بفنون الأدب ، وقدرة على توظيف الشعر والاقتباس القرآني توظيفاً يجمع بين الدقة التاريخية والجمال الفني ، وهو ما يضيف على آثاره قيمة علمية وأدبية في آن واحد .

وهذه الأبيات تمثل نموذجاً لما اشتهر به العلامة من براعة في توظيف التاريخ الشعري ، وهو فن أبدع فيه حتى كثرت شواهد في مؤلفاته ، بما يشهد على نبوغه وتمكنه من أدواته الأدبية .

ولم تقتصر إسهاماته على هذا اللون من الإبداع ، بل امتدت إلى مجالات التأليف والشرح والترجمة ؛ فمن آثاره العلمية " ضوء الدراري شرح صحيح البخاري " ، وهو شرح لا يزال مخطوطاً محفوظاً في مكتبة ندوة العلماء بلقناؤ ^٢ . كما ذكر المؤرخون أنه نقل بعض رسائل الشيخ المجدد الألف الثاني إلى اللغة العربية ^٣ ، وترجم كذلك الفصلين الأخيرين من كتابه الشهير " سبحة المرجان في آثار هندوستان " إلى اللغة الفارسية

^١ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ، مآثر الكرام ، (آغرة : مطبع مفيد عام ، عام ١٩١٠م) ، ص ١١٢ ، للمزيد راجع إلى أطروحة الدكتوراه لغلام زرقاني ، الغير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢م ، ص ٧٢ - ٧٣ .

^٢ غلام زرقاني ، أطروحة الدكتوراه ، وهي غير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢م ، ص ١١٣ .

^٣ غلام زرقاني ، أطروحة الدكتوراه ، وهي غير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢م ، ص ١٣١ . للمزيد راجع إلى حيات جليل ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

استجابةً لرغبة بعض تلاميذه^١.

وقد حظي كتاب "سبحه المرجان في آثار هندوستان" بانتشار واسع في المشرق والمغرب، مما أسهم في ترجمته إلى لغات أخرى؛ فقد ترجم الشيخ شمس الدين بن شاه وارث علي الفصلين الأول والثاني منه إلى اللغة الفارسية، ثم ترجم الكتاب بأكمله إلى اللغة الأردية تحت عنوان "مظهر آدم"، وطبع في مطبعة نول كشور بلكناء^٢.

ويقع هذا الكتاب النفيس في أربعة فصول، يمثل كل منها جانباً متميزاً من ثقافة المؤلف ومعارفه الواسعة. أما الفصل الأول، فهو في الأصل كتابه "شمامة الغنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر"، وقد ضمّنه المؤلف في كتابه "سبحه المرجان". وتناول فيه ما ورد عن الهند في كتب التفسير والحديث النبوي، وعالج موضوعات متعددة، منها: أول موضع انفجرت فيه ينابيع الحكمة في الهند، وهبوط آدم بسرنديب من الهند، والوحي إلى آدم عليه السلام ببلاد الهند، وخلق آدم عليه السلام من تربة الهند، ونزول الحجر الأسود أولاً بالهند، وكون شيث عليه السلام بالهند، وكون نوح عليه السلام بالهند، ونزول نهر من أنهار الجنة بالهند. وتعكس هذه الموضوعات المكانة الخاصة التي سعى المؤلف إلى إبرازها للهند في التراث الإسلامي، حتى يخیل إلى القارئ، بعد الفراغ من هذا الفصل، أن الهند تحتل منزلة رفيعة تأتي في المرتبة التالية لبلاد الحجاز.

أما الفصل الثاني، فقد خصّصه لتراجم خمسة وأربعين من أعلام الهند في ميادين العلم والأدب، ويُعد هذا العمل من أوائل المؤلفات العربية التي أفردت علماء الهند بالتراجم. ولذلك عدّه الباحثون عملاً رائداً في بابهِ، إذ يقول الدكتور فضل الرحمن: "... هو أول كتاب ألف في تراجم علماء الهند وعلومها باللغة العربية، ومهّد السبيل لمن جاء بعده...."^٣.

ويشتمل الفصل الثالث على أربع مقالات، وهو في الأصل كتاب

^١ غلام زرقاني، أطروحة الدكتوراه، وهي غير مطبوعة، الجامعة المليّة الإسلامية، عام ٢٠٠٢م، ص ١١٢.

^٢ نفس المصدر، ص ١١٢.

^٣ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي، سبحه المرجان في آثار هندوستان، (تحقيق: محمد سعيد الطريحي)، ط ١، كلمة المحقق، (بيروت - لبنان دار الرافيدين، ٢٠١٥م)، ص ١٧.

مستقل ألفه العلامة بعنوان "تسليية الفؤاد" ، ثم أدرجه ضمن "سبحة المرجان" . وقد تناول فيه مباحث البلاغة ومحسنات الكلام في الأدبين العربي والسنسكريتي ، ودعا الأدباء العرب إلى الاستفادة من الابتكارات البلاغية التي أبدعها الهنود ، قائلاً : " وألحقتُ بفنّ الأدب جملة رائعة ، وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند ، الأسياف الهندية بين الفرائد ، ولما شمرتُ ذيل الجهد في هذه الميادين وعمدتُ على استخراج الأمثلة عن المجاميع والدواوين ... " ^١ ، ويكشف هذا الفصل عن سعة اطلاع المؤلف على التراثين العربي والسنسكريتي ، وقدرته على المقارنة بينهما واستنباط وجوه التلاقي والتميّز .

أما الفصل الرابع ، فيضم خمس مقالات تدور حول أحوال العشاق والمعشوقات . ففي المقالة الأولى عرض المؤلف نظريته في أقسام العشق ، فقسّمه إلى أربعة أنواع : العشق بالسماع ، والعشق بالرؤيا ، والعشق برؤية التصوير ، والعشق برؤية الأصل ، ثم شرح كل قسم مدعماً بالأمثلة ^٢ . كما صنّف النساء وفق اعتبارات متعددة ، منها : الصالحة والطالحة ، والبيتية والسوقية ، والمختفية والمستترة والمعلنة ، والصغيرة والكبيرة والمتوسطة ، والغافلة والخيرة ، والمتربعة في الحسن ، وغير المترينة ، والرامزة ، والطارقة ، والفاطنة ، والمستكبرة ، والشاكية ، وغيرها من الأصناف . وفي المقالة الثانية تناول أقسام الغزلان ، وهي - كما يصرح - من مبتكراته الخاصة ، بينما خصص المقالة الثالثة للقصيدة الغزلانية ، والرابعة لأقسام العشاق ، فذكر منها الطارق ، والناطق ، والغيور ، والعائد ، وغيرهم ، ثم ختم الفصل بالمقالة الخامسة التي أفردتها للقصيدة الهيمانية . ومن خلال هذه المباحث يتبين أن المؤلف قدّم دراسة دقيقة للجوانب النفسية والسلوكية للعشاق والمعشوقات ، مما يعكس عمق ملاحظته ودقة تحليله ^٣ .

يُعدُّ هذا الكتاب من أمتع مؤلفات العلامة وأكثرها قيمة من الناحية العلمية والأدبية ؛ إذ يجمع بين ثراء المادة وغزارة المعلومات وحسن العرض ، ولا سيما فيما يتعلق بتراجم الأعلام ، والقضايا البلاغية ،

^١ نفس المصدر ، ص ٢٢٨ .

^٢ نفس المصدر ، ص ٣٥٩ .

^٣ نفس المصدر ، ص ٤٠٥ - ٤٦٥ . وللتفصيل راجع إلى غلام زرقاني ، أطروحة الدكتوراه ، وهي غير مطبوعة ، الجامعة المليية الإسلامية ، عام ٢٠٠٢ م .

والمقارنات الأدبية بين الثقافتين العربية والهندية . وقد استطاع المؤلف أن يقدم مادته بأسلوب يجمع بين المتعة والفائدة ، مما أكسب الكتاب مكانة متميزة بين مؤلفاته .

وقد صاغ المؤلف كتابه بأسلوب أدبي رفيع ، يقوم على السجع والمحسنات اللفظية ، وهو الأسلوب الذي كان شائعاً في مؤلفات علماء القرون الوسطى ، ولا سيما في الأدب العربي والفارسي . وقد أضفى هذا الأسلوب على الكتاب طابعاً فنياً خاصاً ، وجعل عباراته تتسم بالإيقاع الموسيقي والتناسق اللفظي ، الأمر الذي يشد القارئ ويحفزه على متابعة القراءة دون ملل ، على الرغم مما يقتضيه هذا النمط من الأساليب من عناية في التلقي والتأمل .

ومع ذلك ، فإن الكتاب لا يخلو من ألفاظ معربة أو دخيلة على العربية ، فرضتها طبيعة البيئة الهندية التي عاش فيها المؤلف ، والموضوعات التي تناولها . ومن ذلك لفظ " هندوستان " الوارد في عنوان الكتاب ، إلى جانب ألفاظ أخرى مثل " الدراويش " ، و " بندر " ، و " مسند الإرشاد " ، وغيرها من المصطلحات والأسماء التي استقرت في الاستعمال العلمي والأدبي في شبه القارة الهندية خلال تلك الحقبة . ولا يُعدُّ ورود هذه الألفاظ مأخذاً على المؤلف ، بل يمثل شاهداً على التفاعل الحضاري واللغوي بين العربية والفارسية واللغات الهندية ، ويعكس البيئة الثقافية التي نشأ فيها هذا الأثر .

وخلاصة القول ، فإن كتاب " سبحة المرجان في آثار هندوستان " يُمثل موسوعة أدبية وتاريخية فريدة ، تجلت فيها موسوعية مؤلفه ، وسعة اطلاعه ، وعمق ثقافته ، وأصالته في البحث والتأليف . وقد جمع بين التحقيق التاريخي ، والتراجم ، والبلاغة ، والمقارنة الأدبية ، والخواطر الفكرية ، فاستحق أن يحتل مكانة مرموقة في التراث العربي الذي ألف في الهند ، وأن يظل مرجعاً مهماً للباحثين في تاريخ الحركة العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية .

وخير ما يُختم به الحديث عن هذه الشخصية العلمية الفذة قول

الشاعر :

هيهات لا يأتي الزمانُ بمثله إنَّ الزمانَ بمثله لبخيلُ

ربيع الأنوار

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ تَعْرِفُهُ كُلُّ الظَّائِقِ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

الأستاذ محمد أرشد عبد الغفور عبد المجيد الندوي *

مِيلَادُ أَحْمَدَ فَالْأَنْوَارُ تَنْتَشِرُ	وَالْكُونُ يَزْهُو بِهِ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
وَهَا هِيَ الْأَرْضُ صَارَتْ مِنْ شَمَائِلِهِ	تَحْكِي الْجَمَالَ فَدَاهُ الرُّوضُ وَالزَّهْرُ
مِيلَادُ أَحْمَدَ وَالْأَنْفَاسُ فِي فَرْحٍ	وَالْقَلْبُ يَحْتَالُ وَالْأَشْوَاقُ تَنْهَمُرُ
وَإِنَّ شَمْسَ الْهُدَى مِنْ أَفْقِ مَوْلِدِهِ	تُهْدِي الْمَحَبَّةَ ، وَالْأَخْلَاقُ تَزْدَهَرُ
وَيَوْمَ مَوْلِدِهِ قَدْ فَاضَ مِنْهُ سَنًا	يَفُوقُ شَمْسَ الضُّحَى ، وَالْكُونُ مُنْبَهَرُ
وَنُورَ مَوْلِدِهِ قَدْ صَارَ أَغْنِيَةً	فَمُ الزَّمَانِ يُغْنِيهَا وَيَفْتَخِرُ
وَسِيرَةَ الْمُصْطَفَى لِلْخَلْقِ آيُ هُدًى	وَحُبُّهُ فِي شِعَافِ الْقَلْبِ يَخْتَمِرُ
أَخْلَاقُهُ قَدْ غَزَتْ كُلَّ الْوَرَى وَسَمَتْ	فَوْقَ الثُّرَيَّا ، فَلَا نَقْصَ وَلَا كَدْرُ
فِي حُبِّهِ تَنْتَشِي الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا	وَفِي مَدَائِحِهِ الْأَرْوَاحُ تَنْصَهَرُ
وَالْكُونُ عَادَ كِتَابًا وَالْهُدَى قَلَمًا	وَحَبْرُهُ مِنْ سَنَاهُ رَاحَ يَنْحَدِرُ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ تَعْرِفُهُ	كُلُّ الْخَلَائِقِ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
صَلُّوا عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	مَا فَاحَ فِي الرُّوضِ عِطْرُ أَوْ نَمَا ثَمَرُ

* المعهد العثماني للتميز ، بنغالورو ، الهند .

صنائع فاق صانعها فذاقت

محمد فرمان الندوي

ندوة العلماء ثورة على الحضارة الغربية ، ندوة العلماء خطوة جريئة في مجال التعليم والتربية في شبه القارة الهندية ، ندوة العلماء مبادرة طيبة نحو إيجاد الوسطية والاعتزان ، ندوة العلماء حصن حصين لنشر رسالة الإسلام إلى أرجاء المعمورة ، ندوة العلماء مؤسسة عالمية لإزالة الخلافات المذهبية ، ندوة العلماء مركز صلابة في المبادئ والأصول ، ومحط مرونة في الآلات والفروع ، ندوة العلماء منبع رقرق للعربية والبيان ، ومصدر لسلسل لفصاحة اللسان ، ظل شعار ندوة العلماء منذ أولها : التعاون فيما اتفقنا ، والتسامح فيما اختلفنا ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وخذ ما صفا ودع ما كدر ، وكان ندائها منذ فجرها : الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها ، فهو أحق بها ، وشعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد ، ونادت ندوة العلماء بهذا الشعار القرآني : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة : ١٤٣] .

باكورة ندوة العلماء :

كان نشر الإسلام في أرجاء المعمورة من أهداف ندوة العلماء الأساسية ، وقد ركزت على هذه الناحية كثيرا ، فأدرجت في مقررات جامعتها التعليمية تعلم اللغات المختلفة من العربية والأردية والإنجليزية والهندية والسنسكريتية ، فأكب طلابها على التدريب عليها ، والتضلع منها ، والإتقان فيها ، الواقع أنه لا يُنكر فضل لسان القوم في نشر رسالة الإسلام ، وقد بُعث كل نبي في لسان قومه ، فتخرج من دار العلوم لندوة العلماء عدد لا بأس به من البارعين في اللغات المختلفة ، حاز بها قصب السبق في مجالات الحياة ، ونال بها تقديراً وإعجاباً في العالم كله ، وكان في أول دفعتها التي تخرجت عام ١٩٠٧م العلامة السيد سليمان الندوي الذي ألقى خطبة باللغة الأردية في الدورة السنوية لدار العلوم بساحة رفاه عام كلب قرب محطة ستي (City Station) في لكاناؤ ، فقال أحد الحاضرين : إن هذا الطالب قد استظهر الخطبة وحفظها من

قبل ، فألقاها أمام الحضور ، ثم حُدد وعُين له عنوان آخر : كيف نقوم بالدعوة الإسلامية في الهند ؟ وكلف الطالب السيد سليمان الندوي لإلقاء الخطبة باللغة العربية ، فارتجل حول الموضوع ، وبهر الناس بلهجته العربية ، وأسلوبه الشيق ، وكلماته الخيرة ، فارتجت الساحة بكلمات : أحسنت ، وأجدت ، وبالحق نطقت ، بارك الله في حياتك ، وحياك الله وبياك ، ورفع شأنك ، وأحسن الله إليك ، وكان لها صدى عميق في الأوساط العلمية والأدبية ، وقد خلع عليه العلامة شبلي النعماني عمامته ووضعها على رأسه تكريماً له ، وتعظيماً لشأنه ، وقد اختير هذا الطالب نظراً إلى نبوغه في معرفة اللغات مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء ، فكان يدرس الأردية والعربية ، ويعلم الطلاب لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، حتى وفقه الله تعالى لتأليف كتاب باسم : لغات جديدة ، نظراً إلى حاجة الطلاب في تعلم اللغة العربية الصحفية ، وقد قرض هذا الطالب أبياتاً باللغة العربية ، سارت بها الركبان ، وطبق صيتها الخافقين ، ونالت قبولاً عاماً في الأوساط الأدبية ، ومن أبياته السائرة :

كيف الوصول إلى أهلي وأوطاني	بيني وبينهم جدران قيعان
هل من سبيل إليهم بعد ما قنطوا	من عودتي ورجوعي بعد أزمان
كيف التلاقي وأرض الحب شاسعة	يا ليتني كنت طيراً لي جناحان
كأن حبلاً بقلبي ظل يجذبني	إذا ذكرت إلى أهلي وأوطاني

فكرة نشر الإسلام بلسان القوم :

هذا ، وفي الأردية والإنجليزية والسنسكريتية نبغ رجال من ندوة العلماء ، ظلوا منارات نور ، ومشاعل هداية للإنسانية جمعاء ، وقد توسع نطاق فكرة ندوة العلماء بهؤلاء الأعلام الذين يفتخر بهم تاريخ الهند ، وتتجمل بهم صفحات التاريخ الإسلامي أمثال الشيخ عبد الباري الندوي والشيخ مسعود عالم الندوي والشيخ نجيب أشرف الندوي ، والشيخ رياست علي الندوي ، والشيخ أبي الجلال الندوي ، والشيخ السيد أبي ظفر الندوي ، والشيخ أبي الحسنات الندوي ، والشيخ الشاه معين الدين أحمد الندوي ، والعلامة السيد أبو الحسن الحسنيني الندوي والشيخ محمد الرابع الحسنيني الندوي والشيخ السيد محمد الحسنيني والشيخ واضح رشيد الحسنيني الندوي والشيخ سعيد الأعظمي الندوي والدكتور مزمل حسين الندوي وغيرهم الذين يطول بذكرهم الوصف ، وقد كتب العلامة السيد سليمان الندوي في مجلة معارف الصادرة من دار المصنفين عام ١٩٣٣م :

" كان من متخرجي دار العلوم ندوة العلماء الشيخ زين العابدين الندوي ، الذي اشتغل بشئون الدعوة والتبليغ بعد إكمال دراسته ، فسافر بنفسه إلى أمريكا ، سُررنا بأن أحد أبناء جامعتنا يحقق أهداف ندوة العلماء ، وخرجت ندوة العلماء أمثاله عشرات من العلماء ، الذين كانوا متحليين بالثقافة العصرية أو ماهرين باللغة الإنجليزية مع العلوم الدينية ، وبما أن المسلمين لم يفسحوا لخدمة أمثال هؤلاء العلماء مجالاً ، لكي يكونوا أساتذة ومعلمين في المدارس الإنجليزية والكلية العصرية ، فليعتبر إخواننا المثقفون بالثقافة العصرية من هممة الشيخ زين العابدين ، وليأخذوا درس الجراءة الذاتية لخدمة الأمة حسب مستواهم ، وينشئوا في الأمة الثقة بالنفس والاعتبار بالذات " (الشذرات السليمانية ، ج ١ - ٢٧٧) .

ندوة العلماء في مجال الصحافة الهادفة :

وبجنب الإتقان في شتى اللغات التي كانت من أساسيات ندوة العلماء لنشر رسالة الإسلام تبنت ندوة العلماء لتعميم الفكرة الإسلامية الصحافة البناء الهادفة ، ذلك لأن الصحافة فن من الفنون الحديثة لمعرفة الأحوال والأحداث ، وأداة مؤثرة لبناء المستقبل اللامع ، وُجدت الصحافة في العالم في القرن السادس عشر في ألمانيا وإيطاليا ، فمن هنا انتشرت في الدول المختلفة ، وكان لمصر وسوريا فضل لا يُستهان به في نشر الصحافة العربية ، ثم وصلت الصحافة الهادفة إلى شبه القارة الهندية ، وصدرت أول صحيفة فيها وهي النفع العظيم لأهل هذا الإقليم عام ١٨٧١م ، كما كانت أول صحيفة باللغة الأردية عام ١٨٢٢م باسم : جام جهان نما ، وباللغة الإنجليزية باسم Hicky Gazitte في يناير عام ١٧٨٠م ، هكذا واصلت الصحافة سيرها الطبيعي ، حتى بلغت منتهاها ، لا حاجة هناك إلى إعادة تاريخ الصحافة الهندية ، بل ينبغي ذكر الصحافة الإسلامية الهادفة التي اتخذتها ندوة العلماء شعاراً لنشر أفكارها واتجاهاتها ، ووسيلة نافعة لزرع بذرة الوسطية التي ظلت ولا تزال وسام فخر لها .

تأسست ندوة العلماء عام ١٨٩٢م ، وبعد مضي عقد من إنشائها صدرت أول مجلة علمية باسم الندوة عام ١٩٠٤م ، وكان يرأسها العلامة شبلي النعماني والشيخ حبيب الرحمن الشيرواني ، وكان من أهدافها : تقديم العلوم الإسلامية في ثوب قشيب ، والجمع بين العقل والنقل ، والمقارنة بين القديم والجديد ، وكان من تأثيرها أنها أحدثت ثورة في الأوساط العلمية والأدبية ، فأشاد بمجهوداتها القاصي والداني ، واستمرت إلى ما شاء

اللَّهُ ، ثم احتجبت ، ثم وفق الله مسئولي ندوة العلماء لإصدار مجلة بالعربية باسم الضياء ، وقد صدرت هذه المجلة عام ١٩٣٢م ، وكان رئيس تحريرها الشيخ مسعود عالم الندوي ، وكانت تنشر فيها مقالات ودراسات ، وقد لقيت المجلة استقبالا عظيما من العرب الأقحاح ، واستمرت هذه المجلة إلى عام ١٩٣٥م ، ثم حالف التوفيق ندوة العلماء ، فأصدرت مجلة البعث الإسلامي رداً على البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٥م برئاسة تحرير الشيخ السيد محمد الحسن ، والشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، ففندت دعاويه ، ودفنت هذه الفكرة في عقردارها ، كما كشفت زيوف القومية العربية ، وعجرها بجرها ، ولا تزال تصدر من ٧٢ عاماً ، بدون أي انقطاع ، ولله الحمد والشكر ، وقد أصدرت ندوة العلماء لتعليم الطلاب اللغة العربية والتمهر فيها صحيفة الرائد النصف الشهرية عام ١٩٥٩م ، وهي مستمرة في أداء واجباتها ، وكان مؤسسها ورئيس تحريرها الأول العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسن الندوي رحمه الله ، ثم صدرت من ندوة العلماء في فترات مختلفة صحيفة بالأردنية باسم تعمير حياة عام ١٩٦٣م ، وصحيفة سجا راھي بالهندية عام ٢٠٠٢م ، ومجلة The Fragrance of East بالإنجليزية عام ١٩٩٩م ، ومجلة كاروان أدب عام ١٩٩٤م ، ومجلة تحقيقات شرعية عام ٢٠٢٤م ، كما تهتم ندوة العلماء بتربية الطلاب على الصحافة والألسنة ، ويخصص لها عشرة طلاب كل عام ، وتكون لهم دراسات صحفية وتدريبية عملية .

إن جهود ندوة العلماء في مجال الصحافة الإسلامية الهادفة جديرة بالثناء والشكر ، لا يمكن أن ينكر فضلها أي مكابر أو معاند ، وهي كالشمس في رابعة النهار ، تلمس آثارها وروائعها على مستويات شتى ، وقد واصلت ندوة العلماء مسيرتها الصحفية بأساليبها الإيجابية ، فلم تتعرض لأمر خلافية ، ولا تلتفت إليها شيئاً ، بل تناولت القضايا العالمية ، والمستجدات الحديثة ، وخاضت في أمور وشئون قلما خاض فيها المحللون ، ثم قدمت حلولاً ناجعة وردوداً مقنعة ، ووضعت نصب أعينها قول الله عز وجل : أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَأَتَى هِيَ أَحْسَنُ ، فاتسع نطاقها ، واستفاضت شهرتها ، ووجدت الإنسانية فيها ضالتها ، ومتاعها المفقود . قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [إبراهيم : ٢٤ - ٢٥] .

تحية إكبار من وراء البحار جبراً لانكسار الخواطر في مسار الخطابة على المنابر

بقلم : الدكتور صالح العود*

إن منبر الخطابة يعد بكل فخر من الشعائر الدينية في السفر والحضر ، التي لا مثيل لها منذ اعتلاه سيد البشر صلى الله عليه وسلم عليه ، حينما هاجر إلى المدينة المنورة وقام خطيباً عليه إلى أن فارق الحياة ، بأبي وأمي هو ، عليه الصلاة والسلام . وفضيلة الشيخ الهمام سيدي فتحي الرباعي ، من علماء مدينة صفاقس الشهيرة التي أنجبت علماء بارزين لا يزال التاريخ يذكرهم على مرأى ومسمع العالم ، فدونك المحدث عبد الواحد بن التّين ، والفقيه علي اللخمي ، والقارئ علي النوري رحمهم الله جميعاً^١ .

كان فضيلة الشيخ فتحي الرباعي حفظه الله ودام عزه وفضله ، من أولي العزم في مجال فنّ " الخطابة " الأسبوعية ، على المنابر التونسية ، بل بعد مزاولته ذلك مدة تزيد على تسعة وثلاثين عاماً ، يعتبر الشيخ قد تربّع على عرش الخطابة بامتياز ، ودون منازع ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . كان الشيخ فتحي ولا يزال الناصح الأمين والمستديم لكل فئات وشرائح المجتمع ، مهما كانت منازلهم أو تخصصاتهم فيصغى إليه بديمومة ومتابعة سواء عن قرب أو بعد ، حتى يخال السامع أو الرائي أنه خطيب ميمون ، ومن طراز آخر فريد ، لا يُملّ أبد الدهر .

وفي آخر جمعة من شهر جويلية (لهجة فرنسية ، وهي يوليو) الموافق لشهر صفر عام ١٤٤٨هـ / ٢٠٢٦م) أطلق الشيخ فتحي من على منبره " صيحة نصيحة " لفتت إليها الأسماع ثم الأنظار بل والأفكار ، فكانت كالقشة التي قسمت ظهر البعير ، كما جاء في المثل العربي القديم .

* باحث وكاتب .

^١ الأول شرح صحيح البخاري ، والثاني شرح المدونة ، والثالث مؤلف كتاب " غيث النفع في القراءات السبع " .

وإذا بالشيخ يُقال من " الخطابة " ويحال بينه وبين " المنبر " الذي يُعتبر خَدْنُ روحه ، وصقالة فكره ، وعبير لسانه ، وتعبيره .

وما أصاب الشيخ ، ليس بجديد في الحقيقة ، فقد سبقه في مثل هذا الامتحان ، رجال أبرار ، وعلماء أخيار ، على مرّ العصور (رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) .

جاء في الأثر عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : " لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامّتهم " .

وإسداء النصيحة كما أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحياناً تكون مُكَلِّفَةً ، فيتربّط على الصّدْح بها ثَمَنٌ معنويٌّ أو ماديٌّ باهظ ، قد لا يحتمله قائلها ، إلّا بشِقِّ النفس ، والصبر على البلاء ، وبالتوجه إلى الله عز وجل . وهو ما تحلّى به فضيلة الشيخ فتحي حفظه الله ، فصبر واحتسب ، وانهاالت عليه المكالمات والاتصالات من كل مكان بالداخل والخارج - كما وصف ذلك وأفصح عنه - مواساةً وسنداً ، وإذا بالمفاجأة الكبرى والسّارة تطرقه قبل يومين من شهود الجمعة ، حيث سيكون منبره يتيماً بسبب إعفائه ، فيصله قرار يشفي الصدور ، ويلذ الأسماع ، من رئاسة الجمهورية العتيدة يرجعه إلى مسجده ومنبره وخطبته ، فكان عيداً مشهوداً ، وتاريخاً لا يُنسى في سِجَلِّ مجد الخطابة ورجالاتها الكبار من المخلصين وقمة الأغيار في الذود عن حياض الدين ، وشؤون وشجون المسلمين جميعاً .

فهنيئاً لفضيلة الشيخ فتحي الرباعي الصفاقسي المُتَحَنِّ ، بهذا النجاح الباهر والحضور الكاسح ، بعد بلوى قاسية ، وامتحان جد عسير ، وصدق الله العظيم إذ يقول وهو أصدق القائلين : (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

والحمد لله أولاً وآخراً ، الذي بنعمته وحده تَتِمُّ الصالحات والفلاحات والإنجازات والنجاحات ، إلى أن يقوم الناس جميعاً لرب العالمين من أجل الحساب ، يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .

توقير كبار السن من شيم الأبرار

بقلم : الأستاذ محمد سلمان البجنوري الندوي *

إن توقير الكبار شيمة من شيم الأبرار ، وسجية من سجايا الأخيار ، لأن الإسلام دين شامل متكامل ، يشمل شؤون الحياة الإنسانية كافة ، ويرسم لها أدق المناهج وأحكم القواعد ، فما ترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة إلا وأعطاها حقها ، ووضع لها من التوجيهات النيرة ما يضمن كرامتها ، ومن أروع هذه التوجيهات وأعمقها إنسانية مكانة كبار السن وتوقيرهم ، وهو جزء أصيل وركن أساسي في منهج القيم الخلقية الإسلامية .

وإذا أمعنا النظر في الهدايات القرآنية والسنة النبوية ، وجدنا احتفاءً بالغاً ورعايةً فائقةً بهؤلاء الذين اشتعل رأسهم شيباً ، فالإنسان حين يتقدم به العمر ، يدخل مرحلة يشتد فيها حنينه ونياط قلبه إلى الحب والحنان ، ويتعلق شغاف كيانه بالعطف والمحبة وتتوق مشاعره وأحاسيسه إلى العطف والرحمة ، ويصبح في أمس حاجة إلى الرعاية والاهتمام ، فهو يشبه الطفل الصغير في حاجته الدائمة للرعاية والحنان طوال الوقت ، فكبار السن يمرون بمرحلة من الضعف الطبيعي تؤثر على الذاكرة والحواس ، وقد تدفعهم لتكرار الكلام والأسئلة ، فإنهم يستحقون منا في هذه المرحلة أقصى درجات الصبر والرحمة ، وهذا الضعف الإنساني هو سنة كونية صورها القرآن الكريم بأبلغ بيان في قوله سبحانه وتعالى : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ) [يس : ٦٨] لتكون دعوة صريحة لكل ذي عقل أن يتدبر في تقلبات العمر ، ويسارع إلى إكرام من شاب شعره .

وإننا لنرى أن هؤلاء المسنين الذين كانوا بالأمس يحملون أثقال الآخرين على كواهلهم ، قد بلغوا اليوم من العمر منزلة جعلتهم يعيشون على سواعد غيرهم ، ويفتقرون إلى خدمتهم ومحبتهم ، وفي مثل هذه

* مدرس بدار العلوم لندوة العلماء .

الأحوال ، تقتضي الإنسانية وحسن الخلق أن نتعامل معهم برفق ولين ، وأن نلبي احتياجاتهم ، ونرعاهم غاية الرعاية ، ولا قيد فيه لديانة أو نظرية ، فلو كان الشيخ الكبير غير مسلم وهو عاجز ومحتاج إلينا ، وجب علينا إعانته وقضاء حاجته دون أي تمييز ديني ، فهذا هو جوهر السماحة الإنسانية والتعاليم الإسلامية التي حثّ وأكد عليها النبي صلى الله عليه وسلم .

توقير الكبار في ضوء الكتاب والسنة :

حينما نجول بأنظارنا في آيات الذكر الحكيم ، يتجلى لنا بوضوح كيف أفرد القرآن الكريم لكبار السن مساحة خاصة من الرعاية ، وأمر بمراعاة خواطرهم والالتفات إليهم بكل جوارحنا ، ولعل الأثر البالغ لهذا المعنى يظهر جلياً في سورة يوسف ، فعندما أبقي نبي الله يوسف عليه السلام أخاه بنيامين معه ، ناشده إخوته مستعطفين ومذكرين بحال والدهم كبير السن الذي لا يقوى على لوعة الفراق ، حيث (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف : ٧٨] . وعلى النهج نفسه ، جاءت السنة النبوية الشريفة لتضع النقاط على الحروف في بيان مكانة المسنين ، بل وجعلت توقيرهم شرطاً لكمال الإيمان والانتساب للأمة ، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوقِرْ كَبِيرَنَا " (رواه الترمذي ، رقم الحديث : ١٩٢٠) .

هذه هي رسالة الإسلام وسماحته الإنسانية ، التي تتجلى بوضوح في هذا التوجيه النبوي الكريم ، أن من لا يحنو على صغيرنا ولا يرحمه ، ولا يوقر كبيرنا ولا يحترمه ، فليس منا ، أي : ليس على هدي المسلمين وسنتهم ، إذ لا يليق بالمسلم أبداً أن يظلم الصغار أو يهين كرامة الكبار ، ولكن . . . وافقده ! لقد باتت هذه الشيم والخصال تضحل وتتلأشى اليوم من أوساط المسلمين ، وأصبح توقير الكبار واحترامهم حكاية من الماضي الغابر ، فها هو الإنسان اليوم لا يقيم وزناً لأخيه الشقيق الأكبر ، فما بالك بالأبعد والأغارب ؟!

ولقد كان الناس من قبل بما نالوه من تربية خلقية وتعليم ديني ، ينزلون

الأخ الأكبر منزلة الأب ، ويجعلون الأخت الكبرى في مقام الأم ، ويتعاملون معها بالبر والإجلال كما يتعاملون مع الوالدين ، ولكن .. يا للأسف الشديد ! فاليوم لا ينزل الوالدان نفسيهما منزلة الإعزاز والإكرام ، فكيف نتحدث عن الإخوة والأخوات ؟! حتى بات الآباء والأمهات يتلفهون على نظرة حب ولمسة حنان واحترام من أبنائهم وفلذات أكبادهم ! فيا ليت شعري ! هل من مذكر يذكر هؤلاء الأبناء بأن الوالدين نعمة عظيمة لا تقدر بثمن غال ؟!

إن ديننا الإسلامي الحنيف على قدر كبير من الجمال واليسر ، إذ يجعل خدمة المسنين وتوقيرهم وإكرامهم سببا لجلب البركة والثواب ، ولقد جعل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة احترام كبار السن وإكرامهم من إجلال الله تعالى وتوقيره ، حيث قال : " إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَجَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ " (رواه أبو داود ، رقم الحديث : ٤٨٤٣) . ومعنى هذا الحديث : إن من تعظيم الله جل جلاله إكرام المسلم الطاعن في السن ، وإكرام حافظ القرآن المعتدل في عمله وتلاوته دون غلو أو تقصير ، وكذلك إكرام الحاكم العادل .

لقد قدم نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم للبشرية أسمى نموذج في رعاية المسنين وتوقيرهم ، من خلال توجيهاته بأهمية احترام الشيوخ في المجتمع ، والحقيقة هي أن الشيوخ وكبار السن وأصحاب التجارب هم أساس المجتمع وركيزته ، إذ يستفيد الشباب من خبراتهم وتجاربهم في رسم معالم مستقبلهم ، فالشباب يمتلكون الحماس والاندفاع والرغبة في الإنجاز والتقدم ، لكن هذا الحماس يحتاج دائما إلى الحكمة والعقل والخبرة ، وهي الصفات التي نجدها لدى كبارنا وشيوخنا الأفاضل .

ترغيب الشباب في التوقير وجلب البركة :

وفي إحدى المناسبات ، رغب النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم الشباب في مجازاة الإحسان بالإحسان عند الكبر ، فقال : " مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قِيَضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ " (رواه الترمذي ، رقم الحديث : ١٩٤٥) . ومن خلال هذا الترغيب يأمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بتوقير كبار السن واحترامهم ، لكي ينشأ مجتمع مثالي

ترفرف عليه روح المحبة ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال : " الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ " (رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم الحديث : ٨٩٩١) .

وقد جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : جلس النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم يوماً مع جماعة من الصحابة ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم ، فأُتي بقدر فيه شراب ، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي عبيدة ، فقال أبو عبيدة : يا رسول الله ! أنت أحق به مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " خُذْهُ " ، فأعاده أبو عبيدة قائلاً : يا رسول الله ! خذهُ أنت ، فقال صلى الله عليه وسلم : " اشْرَبْ ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ أَكَابِرِنَا ، وَمَنْ لَمْ يُجَلِّ أَكَابِرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا " (رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم الحديث : ٧٦٨٠) . بل إن ضعفاء المجتمع وكباره هم سبب النصر والرزق ، كما روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ابْغُوثِي الضُّعَفَاءَ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ " (رواه أبو داود ، رقم الحديث : ٢٥٤٩) .

نماذج من السيرة العطرة في رعاية المسنين :

وعند الدراسة المتأنية العميقة لسيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، يتضح لنا أنه كان يولي كبار السن غاية الأدب والاحترام ، ويظهر لنا جلياً مشهد من هذا التعامل الرفيع في تلك الأحداث المشهودة التي وقعت يوم فتح مكة ، حينما جيئ بوالد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أبي قحافة) - وهو شيخ طاعن في السن - إلى المجلس ليعلم إسلامه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إكراماً وتعظيماً له : " يَا أَبَا بَكْرٍ ! هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي آتِيَهُ ! " وقد عبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن ذلك فقال : " جِئْتُ بِأَبِي أَبِي قَحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ حَتَّى آتِيَهُ " (رواه الحاكم في المستدرک ، رقم الحديث : ٥٠٦٥) .

مراعاة كبار السن في صلاة الجماعة دليل أعظم على مدى تعاطف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ورحمته ، كما ثبت عن أبي

مسعود أن رجلاً قال : والله يا رسول الله ! إنني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضباً منه يومئذ ، ثم قال : " إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ " (رواه البخاري ، رقم الحديث : ٦٨١) .

تكريم رباني في مراحل الحياة الإنسانية :

وفي حديث جامع ، أرشد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى مراعاة كبار السن وتطبيب خواطرهم ببيان ما لهم عند الله من مكانة في مختلف مراحل أعمارهم ، حيث قال : " مَا مِنْ مُعَمَّرٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَلَاءِ : الْجُنُونَ ، وَالْجُدَامَ ، وَالْبَرَصَ ، فَإِذَا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً لَيَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ ، فَإِذَا بَلَغَ سِتِينَ رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّ ، فَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً أَحَبَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، فَإِذَا بَلَغَ الثَّمَانِينَ قَبِلَ اللَّهُ حَسَنَاتِهِ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَسُمِّيَ أَسِيرَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَشَفَعَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ " (رواه أحمد في المسند ، رقم الحديث : ١٣٣٠٣) ، خلاصة هذا الحديث الشريف ومغزاه أن طاعة الله والثبات على الإسلام في مرحلة الشيخوخة ليسا مجرد تقدم في السن ، بل هما ارتقاء مستمر في معارج القرب والفضل الإلهي ، حيث يتدرج اللطف الرباني بالعبد المؤمن من سن الأربعين حتى التسعين ، فيرفع عنه الأمراض ، ويخفف عنه الحساب ، ويرزقه صدق الإنابة ، حتى يبلغ مقام المحبة عند أهل السماء والأرض ، ويتحول هذا الشيخ الكبير بفضله وعبادته وشيئته إلى صمام أمان ومصدر بركة لأهله ومجتمعه ، إذ يجعله الله مستجاب الدعوة وشافعاً لأهل بيته ، مما يفرض على الأبناء والمجتمع بأسره خدمة كبار السن بغاية الأدب والتوقير والرعاية الفائقة ، كجزء أصيل من تعظيم شعائر الدين .

فعلينا أن نتقي الله في عباد الله ، وأن نعرف لكبارنا قدرهم ، ونحسن إليهم ، ونتأدب معهم ، حتى ننال بركة الدنيا وكرامة الآخرة ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يوقرون الكبار ويرحمون الصغار ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نظرة أعمق إلى النسوية والإسلام

المفتي شمائل أحمد عبد الله الندوي *

مؤخراً شاهدت مقطع فيديو لامرأة مسلمة محجبة حجاباً شرعياً تشرح فيه أن النسوية تقوم على المساواة في الحقوق والفرص والاحترام بين الرجال والنساء مثل حق الميراث وحق التعليم ، وهي حقوق قد منحها الإسلام للمرأة منذ أكثر من ألف وأربع مائة سنة .

ومشاهدة هذا المقطع جعلتني أتأمل في مدى تأثر كثير من المسلمين اليوم بالشعارات البراقة ، بل في بعض الأحيان يشاركون في ترويج أفكار تتصادم مع الإسلام . وغالباً ما يحدث ذلك بسبب عدم الفهم العميق للتيارات الفكرية التي يتبعونها وبسبب الجهل بدين الإسلام نفسه .

نحن في حاجة إلى نظرة أعمق لمعرفة حقيقة ما تمثله النسوية المعاصرة . كثير من الناس ينخدعون من كلمات مثل " المساواة " و " الحقوق " من غير إدراك لما وراءها من دلالات وأفكار . فعندما نتحدث النسوية عن المساواة في الحقوق والفرص ، فهي لا تتوقف عند حدود التعليم أو حق الميراث بل تمتد مفهوم المساواة ليشمل كل المجالات ، حتى المجالات التي وضع فيها الإسلام أحكاماً مختلفة للرجال والنساء عن قصد وحكمة . وتتضح المسألة من خلال بعض الأمثلة :

(١) الحجاب :

ترى النسوية أنه إذا كان الرجل يستطيع أن يتحرك في المجتمع دون غطاء فينبغي للمرأة أن تتمتع بنفس الحرية . أمّا في الإسلام فالحجاب تشريع مبني على الحكمة وصيانة الكرامة والحماية .

(٢) المسؤولية المالية :

إذا كان الرجل ملزماً بالإنفاق على أسرته ، فإن الفكر النسوي

* طالب دكتوراه ، قسم القرآن والسنة ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ،
انسئغرام : @muftishamail

غالباً ما يطالب بأن تتحمل المرأة نفس الواجب كاملاً . بينما يوزع الإسلام المسؤوليات وفق القدرات الطبيعية والأدوار والواجبات التي خلُق كل واحد لها .

(٣) تقسيم الميراث :

تطالب النسوية بتسوية أنصبة الميراث بين الرجل والمرأة في جميع الحالات . أمّا الإسلام فيقسم الميراث بناءً على المسؤوليات المالية والالتزامات الشرعية لكل جنس محققاً العدل لا المساواة المطلقة .

(٤) الإمامة في الصلاة :

قد يجادل الفكر النسوي بأن الرجل إذا كان يستطيع أن يؤمّ الرجال والنساء في الصلاة معاً فينبغي للمرأة أيضاً أن تؤدي نفس الدور .

(٥) التعدد :

قد تقول النسوية : إذا كان الرجل مسموحاً بأن يتزوج أكثر من زوجة فينبغي للمرأة كذلك أن تتزوج أكثر من زوج .

المبدأ الذي تقوم عليه هذه الأحكام هو أن الإسلام يقوم على العدل لا على المساواة المتطابقة . فالعدل يعني إعطاء كل جنس ما يناسب خصائصه الجسدية والعاطفية والنفسية وما ينسجم مع طبيعته ومسؤولياته . بينما تقوم النسوية على مساواة تتجاهل الفطرة . وأي محاولة لفرض التشابه والمساواة رغم اختلاف الطبيعة البشرية تعدّ أمراً مرفوضاً في الشريعة الإسلامية . وكثير من النظريات النسوية الحديثة مبنية على افتراضات تتعارض مع هذا الأساس .

إن محاولة الجمع بين الإسلام والنسوية تعكس - في كثير من الأحيان - قلة فهم للنسوية أو ضعفاً في معرفة أصول الدين أو الأمرين معاً . نعم ، قد يتشابه بعض المسائل مثل حق التعليم أو الميراث في مظاهر معينة وسطحية ، لكن هذا لا يعني أن الإطارين الفكريين متوافقان . فالتشابه الجزئي لا يدل على وحدة المنطلقات ولا على توافق المقاصد .

هذه الكلمات دافعها الحرص على دعوة المسلمين للتأمل العميق وفهم حكمة الشريعة الإسلامية وأصولها وعدم الانخداع بالشعارات الجذابة . فالدراسة العميقة والوعي الراسخ ضروريان لحماية إيماننا .

وفد ندوة العلماء في مصر

(جولة علمية تعزز جسور التواصل مع الأزهر والمؤسسات الإسلامية)

إعداد : الأخ حسين أحمد الندوي*

في زيارة علمية وثقافية حافلة باللقاءات والمحطات المتنوعة ، حل وفد جامعة ندوة العلماء بلكناؤ ، الهند ، ضيفاً على جمهورية مصر العربية ، في جولة جمعت بين التواصل مع المؤسسات العلمية والأزهرية ، واللقاء بالعلماء والمفكرين والأدباء ، والتواصل مع الطلاب الوافدين ، واستحضار العلاقات التاريخية التي تجمع ندوة العلماء بمصر والأزهر الشريف .

وضم الوفد عدداً من أساتذة جامعة ندوة العلماء ، في مقدمتهم الأستاذ فيصل أحمد الندوي ، والأستاذ ظفر الدين الندوي ، والأستاذ اصطفاء الحسن الندوي ، حيث تتوالت محطات الزيارة بين اللقاءات الرسمية والمؤسسات العلمية والأدبية ، والبرامج الدعوية والتربوية والاجتماعية .

وقد عكست الزيارة عمق الصلات العلمية والثقافية بين الهند ومصر ، وأبرزت المكانة التي تحظى بها ندوة العلماء في الأوساط العلمية والأدبية ، كما فتحت المجال أمام بحث آفاق جديدة للتعاون بينها وبين الأزهر الشريف والمؤسسات العلمية والثقافية في مصر .

في رحاب مسجد سيدنا الحسين . . لقاء مع وزير الأوقاف :

ومن أبرز محطات الزيارة استقبال معالي وزير الأوقاف للوفد في مسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه ، بمناسبة حضور الوفد فعاليات ملتقى الفكر الإسلامي ، وما صاحب ذلك من برنامج علمي وإيماني تضمن ختم صحيح البخاري وشمائل الترمذي .

وكان اللقاء مناسبة لاستحضار مكانة السنة النبوية في حياة المسلم ، وما تمثله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصل عظيم في بناء الشخصية المسلمة وربط العلم بالسلوك والعمل .

وتحدث الأستاذ فيصل أحمد الندوي في هذه المناسبة مؤكداً أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست مجرد عاطفة وجدانية ، وإنما هي محبة تقتضي اتباع هديه والاقتداء بأخلاقه والتمسك بسنته .

* مدينة البعوث الإسلامية ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية .

وأكد أن حسن الخلق يمثل جانباً أصيلاً من الهدي النبوي ، مستشهداً بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من عظيم منزلة حسن الخلق ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل ليصل بحسن خلقه درجة الصائم (أخرج الطبراني) .

كما تناول الأستاذ ظفر الدين الندوي في حديثه لمعالي وزير الأوقاف العلاقات التاريخية والعلمية بين ندوة العلماء ومصر والأزهر الشريف ، وما يجمع المؤسسات العلمية في البلدين من روابط راسخة ، مؤكداً أهمية استمرار التواصل والتعاون بين الجانبين .

وقد مثل اللقاء في رحاب مسجد سيدنا الحسين محطة ذات دلالة خاصة في برنامج الوفد ؛ لاجتماع البعد العلمي بالبعد الروحي والتاريخي ، وارتباطه بملتقى الفكر الإسلامي وختم كتب من أهم مصادر الهدي النبوي **في المنظمة العالمية لخريجي الأزهر . . بحث آفاق التعاون :**

وفي محطة أخرى من الزيارة ، استقبل الأستاذ الدكتور عبد الدائم نصير عضو مجلس الشيوخ ، ومستشار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وفد ندوة العلماء في مقر المنظمة العالمية لخريجي الأزهر . وجرى خلال اللقاء بحث سبل تعزيز التعاون بين الأزهر الشريف وندوة العلماء ، وتوسيع مجالات التواصل العلمي والأكاديمي بين المؤسستين ، بما يخدم قضايا التعليم الإسلامي ويعزز العلاقات التاريخية بين علماء الهند ومصر .

واستعرض الوفد جانباً من رسالة ندوة العلماء ومسيرتها التعليمية والتربوية ، وما قامت به من جهود في الجمع بين العلوم الإسلامية الأصيلة واللغة العربية وآدابها ، وإعداد العلماء والدعاة القادرين على التعامل مع متغيرات العصر مع المحافظة على ثوابت الهوية الإسلامية .

كما تناول اللقاء أهمية التواصل بين الأساتذة والباحثين والطلاب ، والاستفادة من التجارب والخبرات العلمية لدى الطرفين ، وفتح آفاق أوسع للتعاون الأكاديمي والثقافي .

وأكد اللقاء أن العلاقات بين ندوة العلماء والأزهر الشريف ليست وليدة هذه الزيارة ، وإنما تستند إلى تاريخ طويل من التواصل العلمي ، وأن المرحلة المقبلة يمكن أن تشهد مزيداً من المبادرات المشتركة .

ندوة العلماء ورابطة الأدب الإسلامي :

لقاء يستحضر التاريخ ويستشرف المستقبل :

وكان لمقر رابطة الأدب الإسلامي العالمية - مكتب مصر - محطة بارزة في برنامج الوفد ، حيث احتضنت الرابطة لقاءً خاصاً احتفاءً بوفد ندوة العلماء القادم من الهند ، بحضور عدد من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات والمهتمين باللغة العربية والأدب الإسلامي .

وأدارت اللقاء الشاعرة الأستاذة نوال مهني ، رئيسة مكتب رابطة الأدب الإسلامي في مصر ، التي رحبت بالوفد ، مؤكدة أن حضوره إلى مقر الرابطة يحمل دلالة خاصة ، لما يجمع ندوة العلماء ورابطة الأدب الإسلامي من صلات تاريخية وفكرية وأدبية .

واستحضرت في كلمتها شخصية الإمام أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله ، الذي ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بمشروع الأدب الإسلامي ، وكان من أبرز أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، ومؤسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وأشارت إلى أن حضور أبناء ندوة العلماء في مقر الرابطة يعيد إلى الذاكرة صفحات من تاريخ المشروع الإسلامي الأدبي والفكري ، والجهود التي بذلها رواده في نشر هذا المفهوم وترسيخ حضوره في العالم الإسلامي .

ذكريات علمية تمتد لعقود :

وشارك الدكتور غريب جمعة في اللقاء بكلمة استحضر فيها صلته القديمة بندوة العلماء ورجالها ، متحدثاً عن ذكرياته مع عدد من أعلامها ، وعن حضورهم في الصحافة العربية والفكر الإسلامي .

وتوقف عند مجلة " البعث الإسلامي " وجريدة " الرائد " ، باعتبارهما من أبرز مظاهر عناية ندوة العلماء باللغة العربية والصحافة الإسلامية ، موضحاً ما تميزت به " البعث الإسلامي " من طابع علمي وبحثي ، وما عرفت به " الرائد " من طابع صحفي .

كما استحضر عدداً من أعلام ندوة العلماء الذين ارتبط بهم ، ومنهم الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، والشيخ محمد واضح رشيد الندوي رحمه الله ، والإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله ، متحدثاً عن أثر الإمام الندوي في نشأة مفهوم الأدب الإسلامي وتأسيس رابطة الأدب الإسلامي .

وأكد أن علاقته بندوة العلماء لم تكن علاقةً عابرةً ، وإنما

كانت صلةً علميةً وأدبيةً امتدت سنوات طويلة ، أساسها المحبة والعلم وخدمة اللغة العربية والإسلام .

إشادة مصرية برسالة ندوة العلماء :

وشهد اللقاء عدداً من الكلمات والمداخلات من العلماء والأكاديميين والأدباء المصريين ، الذين رحبوا بالوفد وأشادوا برسالته العلمية والتربوية .

وتحدث الدكتور غانم سعيد ، عميد كلية اللغة العربية الأسبق بجامعة الأزهر ، مشيداً بالمستوى العلمي واللغوي الذي ظهر به أعضاء الوفد ، ولا سيما تمكنهم من اللغة العربية ، مؤكداً أن العناية بالعربية والعلوم الإسلامية في بيئة غير عربية تجربة علمية وتربوية جديرة بالتقدير . كما تحدث الدكتور زهران عن أهمية التواصل بين المؤسسات العلمية والأدبية في مصر والهند ، مؤكداً أن مثل هذه اللقاءات تسهم في التعارف وتبادل الخبرات والتعريف بالجهود العلمية والفكرية التي قدمتها ندوة العلماء .

وأشاد الدكتور عبد الغفار خلف الله بما تمثله ندوة العلماء من نموذج في المحافظة على الهوية الإسلامية والعناية باللغة العربية ، وما تركته تربيتها العلمية والأخلاقية من أثر في أجيال من العلماء والطلاب .

أما الدكتور ناصر وحدان ، فاختصر مداخلته في ثلاث رسائل : شكر ، وإعجاب ، وأمنية ؛ فوجه الشكر إلى القائمين على الرابطة والوفد الزائر ، وأبدى إعجابه بالمستوى العربي الذي ظهر به أعضاء الوفد ، ثم أعرب عن أمنيته في إنجاز دراسات ورسائل جامعية توثق تاريخ رابطة الأدب الإسلامي وندوة العلماء وأثارهما العلمية والفكرية والأدبية .

الوفد يتحدث عن ندوة العلماء والأدب الإسلامي :

ومن جانب الوفد ، تحدث الأستاذ ظفر الدين الندوي عن فكرة ندوة العلماء ومنهجها ، موضحاً جوانب من المشروع الذي قامت عليه المؤسسة ، والقائم على الجمع بين الأصالة العلمية والانفتاح على العصر ، والعناية بالعلوم الإسلامية واللغة العربية ، وإعداد جيل من العلماء القادرين على حمل رسالة الإسلام في واقع متغير .

وتناول الأستاذ فيصل أحمد الندوي الجهود التي سبقت تأسيس رابطة الأدب الإسلامي ، موضحاً أن قيام الرابطة لم يكن حدثاً منفصلاً عن مسار طويل من الجهود العلمية والفكرية والأدبية ، وإنما جاء ثمرة

لتراكم من الأعمال والمحاولات التي شارك فيها عدد من العلماء والأدباء ،
وفي مقدمتهم الإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله .
أما الأستاذ مصطفى الحسن الندوي ، فتحدث عن ندوة العلماء
وحركة رسالة الإنسانية ، مبرزاً البعد الإنساني في رسالة المؤسسة ، وما
تقوم به من جهود في خدمة العلم والدين والأخلاق ، وترسيخ القيم التي
تجمع الناس وتدعو إلى الخير والرحمة والتعاون والاندماج في تيار التنمية
والتطوير في البلاد ، والتعايش السلمي والتضامن بين شعبيها المتكون من
أتباع مختلف الديانات والحضارات ، والذي لا يتم الاستقرار والأمن في
شعوب بلاد إلا به .

لقاء مع مستشارة شيخ الأزهر :

وفي إطار السعي إلى تعزيز العلاقات العلمية والأكاديمية ، التقى
وفد ندوة العلماء بالدكتورة نهلة الصعيدي ، مستشارة فضيلة الإمام
الأكبر شيخ الأزهر لشؤون الوافدين .
وجرى خلال اللقاء بحث آفاق التعاون والشراكة العلمية بين ندوة
العلماء والأزهر الشريف ، ومناقشة عدد من القضايا المتعلقة بالتعليم
والتعاون الأكاديمي ، والاستفادة المتبادلة من الخبرات العلمية ، وتعزيز
التواصل بين العلماء والأساتذة والطلاب .
واستعرض الوفد جانباً من رسالة ندوة العلماء التعليمية والعلمية ،
ومنهجها في الجمع بين العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها ، مؤكداً
أهمية توثيق الصلة بينها وبين الأزهر الشريف ، بما يمثل من منارة علمية
عالمية يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم .
كما جرى التأكيد على أهمية فتح مجالات أوسع للتعاون ، تشمل
التبادل العلمي والأكاديمي ، والتواصل بين الأساتذة والباحثين ، والاستفادة
من الخبرات التعليمية ، وتعزيز فرص التعاون المتعلقة بالطلاب الوافدين .

في مدينة البعوث الإسلامية :

كما استقبل السيد عصام القاضي ، رئيس قطاع مدن البعوث
الإسلامية ، وفد جامعة ندوة العلماء بكنائز في مكتبه بمدينة البعوث
الإسلامية .

وجاء اللقاء في إطار زيارة الوفد لمصر ، وحرصاً على تعزيز
التواصل والتعارف بين المؤسسات العلمية الإسلامية . وتناول الجانبان

التعريف بجامعة ندوة العلماء ومسيرتها العلمية والتربوية ، وتبادلا الحديث حول عدد من القضايا المرتبطة بالتعليم الإسلامي ، والنشاط العلمي ، وأوجه التواصل والتعاون بين المؤسسات العلمية الإسلامية .

وخلال اللقاء ، أهدى رئيس قطاع مدن البعوث الإسلامية أعضاء الوفد عدداً من الكتب والإصدارات الأزهرية ، تقديراً للزيارة وحرصاً على تعزيز التواصل العلمي والثقافي بين الأزهر الشريف وندوة العلماء . وعقب اللقاء ، قام الوفد بجولة داخل مدينة البعوث الإسلامية ، للتعرف على طبيعة العمل فيها ، والاطلاع على الخدمات المقدمة للطلاب الوافدين من مختلف الجنسيات ، وما توفره المدينة من خدمات تعليمية ومعيشية ورعاية متكاملة .

وأكد رئيس القطاع أهمية مثل هذه الزيارات في تعزيز جسور التواصل بين المؤسسات العلمية الإسلامية ، وتبادل الخبرات والتجارب بما يسهم في دعم مسيرة التعليم وخدمة الطلاب الوافدين .

لقاء مع الدكتور يوسف عامر :

وشملت الزيارة كذلك لقاءً مع الأستاذ الدكتور يوسف عامر ، نائب رئيس جامعة الأزهر لشؤون التعليم ، ورئيس اللجنة الدينية في مجلس الشيوخ ، حيث جرى الحديث حول رسالة ندوة العلماء ودورها العلمي والتربوي ، وعلاقتها بالمؤسسات العلمية في مصر .

وأشاد الدكتور يوسف عامر بدور ندوة العلماء وعلمائها ، وما قدمته المؤسسة على مدى تاريخها من جهود في خدمة العلوم الإسلامية واللغة العربية ، وتخريج العلماء والطلاب الذين أسهموا في نشر العلم والثقافة الإسلامية .

وجاء اللقاء امتداداً للقاءات الوفد مع القيادات العلمية والأكاديمية المصرية ، وناظرة أخرى للتعريف بالتجربة العلمية لندوة العلماء وبحث إمكانات التواصل والتعاون .

أمسية دينية واجتماعية :

ولم تقتصر زيارة الوفد على اللقاءات الرسمية والمؤسسات العلمية ، بل امتدت إلى التواصل المباشر مع طلاب العلم الوافدين في القاهرة ، من خلال أمسية دينية واجتماعية جمعت طلاباً من الهند وعدد من الدول المختلفة وأقيمت الأمسية في أجواء إيمانية وأخوية ، واتسمت بالتعارف

والمذاكرة والتوجيه ، وتخللتها كلمات لعدد من أساتذة ندوة العلماء حول طلب العلم وإخلاص النية والعمل بالعلم وتحمل المسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع والأمة .

وشارك في البرنامج الأستاذ فيصل أحمد الندوي ، والأستاذ اصطفاء الحسن الندوي ، والأستاذ شهاب الدين الندوي ، والأستاذ ظفر الدين الندوي . وأكد الأستاذ فيصل أحمد الندوي أن وجود الطلاب في مصر وطلبهم للعلوم الشرعية ينبغي ألا يكون مجرد وسيلة للحصول على الشهادات والمؤهلات الأكاديمية ، وإنما ينبغي أن يكون طريقاً إلى معرفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهمهما على منهج العلماء الراسخين .

وأوضح أن طالب العلم يحمل رسالة تتجاوز ذاته ، لأنه سيكون قدوة في مجتمعه ، وعليه أن يستعد لهذه المسؤولية بالعلم والعمل والأخلاق . وشدد على أهمية إتقان اللغة العربية باعتبارها مفتاحاً لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الشرعية ، داعياً الطلاب إلى التدرج في تعلمها وإتقانها ، مع المحافظة على العبادة والصلاة وتلاوة القرآن والذكر والدعاء . وركز الأستاذ اصطفاء الحسن الندوي على إخلاص النية في طلب العلم ، محذراً من أن يتحول طلب العلم الشرعي إلى وسيلة للحصول على الشهادات أو الوظائف فحسب .

واستشهد بقوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) .

وأكد أن امتلاك المعلومات لا يكفي ، وإنما العبرة بأن يتحول العلم إلى إيمان وسلوك وعمل ، وأن يراجع طالب العلم نفسه باستمرار : هل ترك ما يتعلمه من القرآن والسنة والعلوم الشرعية أثراً في قلبه وجوارحه وأخلاقه ؟ ودعا الطلاب إلى تجديد النيات ، وأن يكون تحصيلهم للعلم ابتغاء مرضاة الله وخدمة الدين ونفع المسلمين .

وتناول الأستاذ شهاب الدين الندوي أهمية الالتزام بالصراط المستقيم ، مؤكداً أن نجاح الإنسان في الدنيا والآخرة مرتبط بالاستقامة . وحذر الطلاب من الطرق الملتوية في طلب العلم أو تحقيق الطموحات ، مؤكداً أن الغاية لا تبرر الوسيلة ، وأن المسلم مطالب بأن يسعى إلى النجاح بوسائل مشروعة . واستشهد بقوله تعالى : (وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) .

كما استحضر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " ، مؤكداً أن استحضار المسؤولية يجعل طالب العلم أكثر وعياً بواجباته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته .
ووجه الأستاذ ظفر الدين الندوي إلى الطلاب ثلاث رسائل رئيسية تتعلق بطموحاتهم ، وآمال أسرهم والأمة فيهم ، وكيفية عيشهم في بيئة العلم بعيداً عن الخلاف والتنافر .

وتحدث عن طموحات الطلاب في الحصول على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ، مؤكداً أن الوصول إلى هذه الطموحات يحتاج إلى الأخذ بالأسباب ، وإلى توفيق الله تعالى .
وربط بين التوفيق والتقوى ، مستشهداً بقوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) .

وأوضح أن العلم إذا لم يصحبه تقوى وعبادة وعمل صالح قد يتحول إلى معلومات مجردة لا نور لها ولا أثر في القلب والسلوك . كما دعا الطلاب إلى أن يكون العلم وسيلة لرفع الجهل عن النفس وعن الآخرين ، ونقل الخير إلى المجتمعات التي سيعودون إليها ، وألا تكون الشهادة أو الوظيفة نهاية الطريق . وتوقف عند آمال الآباء والأمهات ، مذكراً الطلاب بالمشاعر التي رافقت وداعهم لأسرهم ، وبالآمال التي عقدها الآباء والأمهات عليهم حين أرسلوهم إلى بلاد العلم .

وأكد أن كثيراً من الأسر والمجتمعات تنتظر عودة أبنائها بعد تحصيل العلم ، وأن على طالب العلم أن يحمل هذه الأمانة ، وأن يجعل نجاحه العلمي وسيلة لخدمة الناس ونشر الخير .

واختتم حديثه بالتأكيد على أهمية المحبة والتعاون بين طلاب العلم ، محذراً من أن يتحول التنافس إلى خلاف أو تنافر ، وداعياً إلى أن يكون الاجتماع على العلم والدين سبباً في تقوية الأخوة والتواصل .

عشاء أخوي يختتم اللقاء :

وعقب انتهاء البرنامج التوجيهي ، أقيمت مأدبة عشاء جماعية على شرف الوفد والطلاب والحاضرين ، في أجواء أخوية أتاحت مزيداً من التواصل والتعارف بعيداً عن الطابع الرسمي للقاءات العلمية . وكان العشاء امتداداً للجانب الاجتماعي من الأمسية ، وجمع طلاباً من الهند وعدداً من الدول المختلفة ، إلى جانب أساتذة ندوة العلماء ، في مشهد عكس روح الأخوة التي قامت عليها المبادرة .

محاضرة علمية وثقافية في رحاب دار العلوم لندوة العلماء

الأخ محمد أرقم *

نظمت محاضرة علمية وثقافية في قاعة العلامة حيدر حسن خان التونكي ، في رحاب دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وذلك يوم الأربعاء بعد صلاة المغرب في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤٤٨ هـ المصادف السادس والعشرين من شهر سبتمبر عام ٢٠٢٦ م ، وقد ألقى هذه المحاضرة الشيخ المحدث العلامة محمد عوامة حفظه الله ورعاه ، شيخ دار الحديث العوامية ، حول عنوان : "فرائد النقول والأخبار وآثارها في حياة الطلاب " . عبر شبكة الإنترنت ، من خلال برنامج " زوم " .

واستُهلّت المحاضرة بتلاوة عطرة من آيات القرآن الكريم ، تلاها الطالب محمد بن افتخار من السنة الرابعة العالية من قسم الأدب . أولاً كانت كلمة تمهيدية لنجل الشيخ محيي الدين عوامة حول : منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والحديث والفقه والتزكية ، فقدم الأستاذ ظفر الدين الندوي أستاذ التفسير والحديث في دار العلوم لندوة العلماء تعريفاً موجزاً بالدكتور محيي الدين عوامة ، ثم تحدث الدكتور محيي الدين عوامة عن موضوعه ، في عدة دقائق ، بأسلوب متميز رصين . وأخبر أنه قد ألف كتاباً حول الموضوع على إيعاز من رئيس دولة ماليزيا الأسبق الأستاذ عبد الله بدوي لتجعل الدولة هذا الكتاب دستوراً عاماً لها ، فبذل الدكتور فيه من جهد كبير وسعي عظيم ، وأوضح من خلاله منهج علمائنا السابقين وسلفنا الصالح في مسائل العقيدة في ضوء القرآن والسنة والفقه والتزكية ، وكانت هناك فترة الأسئلة والأجوبة ، حيث أجاب الدكتور عن الأسئلة .

وقبل أن يقدم الشيخ محمد عوامة محاضراته ألقى الدكتور محمد فرمان الندوي ، أستاذ التفسير والأدب العربي بدار العلوم ، ومدير تحرير مجلة البعث الإسلامي الشهيرة ، كلمة الترحيب والاستقبال أصالة عن نفسه وعن الأساتذة والطلاب ونيابة عن الرئيس العام لندوة العلماء الشيخ الأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي حفظه الله ورعاه ، وعرف بالشخص الموقر والضيف الكريم ، واستعرض فيها ذكريات ندوة العلماء

* الطالب في السنة الرابعة العالية من الشريعة بدار العلوم لندوة العلماء .

مع شيخنا المحترم ، وذكر بعض الميزات والخصائص التي تميز الشيخ عن أقرانه وأمثاله .

ثم ألقى الشيخ محمد عوامة محاضرتة القيمة حول : فرائد النقول والأخبار وآثارها في حياة الطلاب في الموضوع المحدد ، وقدم فيها أنواعاً من الأمثلة حول الموضوع ، واستمرت المحاضرة نحو ساعة ، وقدم خلالها توجيهات وإرشادات نافعة لطلاب العلوم الشرعية ، ثم أسعد الشيخ عوامة طلاب ندوة العلماء بعد المحاضرة بإجازة الحديث النبوي الشريف ، فكان ذلك سعادة عظيمة للحاضرين . وبعد ذلك أجاب المحاضر المحترم عن أسئلة الطلاب بأجوبة كافية شافية . ثم وزعت الجوائز على الطلاب الفائزين في مسابقة تلخيص كتاب الشيخ المتميز " معالم إرشادية لصناعة طالب العلم " وأعلن عن أسماء الفائزين الدكتور محمد فرمان الندوي ، بينما قام الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي أستاذ التفسير والحديث بدار العلوم بتوزيع الجوائز على الفائزين ، وقد فاز بالمرتبة الأولى محمد أرقم من السنة الرابعة العالية ، وبالمرتبة الثانية الأخ معاذ أشهر من السنة الرابعة العالية ، وبالمرتبة الثالثة الأخ فضل الله . السنة الرابعة العالية . وأخيراً ألقى الأخ محمد طيب ، من قسم الدراسات العليا ، كلمة الشكر والامتنان ، وكان مدير الحفل الأخ أبو الحسن ، من قسم التخصص في الأدب العربي . واختتمت الحفلة بالدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله جل وعلا .

ومن أبرز المشاركين في الحفلة : الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي ، والأستاذ عبد الرشيد الراجستاني الندوي ، والأستاذ منور سلطان الندوي ، والأستاذ عبد الله المخدمي الندوي .

وقد تكونت لجنة التنظيم والاستقبال والترحيب من الأخ أبي الحسن ، من قسم التخصص في الأدب العربي ، والأخ أحمد عبد الله الحسيني ، من السنة الرابعة العالية في الشريعة ، والأخ أجود حسان ، من السنة الرابعة العالية ، والأخ معاذ أشهر ، من السنة الرابعة العالية . والأخ مدثر أخون .

وشارك في هذه المحاضرة أكثر من مائتي طالب من طلاب الدراسات العليا والعالية الشريعة ، ومن أقسام التخصص المختلفة ، كما بُثت المحاضرة عبر شبكة الإنترنت ، ليستفيد منها عدد أكبر من الطلاب والمهتمين .

الشيخ المقرئ شبير أحمد إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ المقرئ شبير أحمد يوم الجمعة بعد صلاة العصر في ١٩ / ربيع الثاني سنة ١٤٤٨ هـ ، المصادف ٢ / أكتوبر عام ٢٠٢٦ م ، في أحد مستشفيات مدينة بتته ، بولاية بهار ، عن عمر يناهز ٧٥ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ المقرئ شبير أحمد ينتمي إلى مديرية دربغا ، بولاية بهار (الهند) ، إنه درس في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ، ثم انتقل إلى المدرسة الدينية بغازيفور ، ومن هنا انتقل إلى المدرسة الإسلامية بهرواره عام ١٩٨٩ م على إيعاز من القاضي الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي رحمه الله ، وظل يدرس فيها ويشرف على أموره الإدارية ، وقد وسع نطاق المدرسة حتى أصبحت المدرسة كبرى المدارس الإسلامية في هذه المنطقة ، وظل رئيساً لهذه المدرسة منذ مدة ، كما كان المفتي محمد قاسم المظفر فوري مشرفاً عاماً على المدرسة ، وكان الشيخ شبير أحمد من أبرز أعضاء الإمارة الشرعية لولاية بهار وأريسه وجارخند ، كانت له صلة روحية بالعلماء الربانيين ، فكان يزورهم حيناً لآخر ، ويستفيد منهم أمثال الشيخ الرباني محمد أحمد البرتابكرهي ، وكان للشيخ شبير أحمد شغف زائد بالشعر والأدب الأردّي ، فكان يطالع كتب الأدباء النوايح ، والعلماء الفطاحل أمثال العلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي ، والشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي ، والشيخ عبد الماجد الدرابادي ، والشيخ أبي الكلام آزاد ، وحفظ عدداً من خطب العلامة السيد سليمان الندوي المعروفة بخطبات مدراس (الرسالة المحمدية بالعربية) ، كما كان يحفظ أبياتاً أردية لكبار الشعراء أمثال غالب وإقبال ، وكان كثيراً ما يشتري كتب دار المصنفين بأعظم جراه ، وندوة المصنفين بدلهي ، والمجمع الإسلامي العلمي بكنّاو ، وغيرها من المجمع العلمية ويجمع في مكتبة مدرسته ، ويوفر للدارسين جوّاً علمياً ، وبيئة دينية . وقد قدر لي الله تعالى أن أزور مدرسته ، فوجدتها في أحسن حال .

ترك الشيخ شبير أحمد وراءه زوجة وثلاثة أبناء ، وبناتاً واحدة ، أما الأبناء فهم الأستاذ دبير أحمد القاسمي ، والحافظ أنور ، والمهندس خليف أحمد ، كلهم أحياء يعملون في مجالات شتى ، بارك الله في حياتهم ونفع بهم . رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأغدق عليه شأبيب رحمته ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

الشيخ المقرئ شبير أحمد إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ المقرئ شبير أحمد يوم الجمعة بعد صلاة العصر في ١٩ / ربيع الثاني سنة ١٤٤٨ هـ ، المصادف ٢ / أكتوبر عام ٢٠٢٦ م ، في أحد مستشفيات مدينة بتته ، بولاية بهار ، عن عمر يناهز ٧٥ عاماً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ المقرئ شبير أحمد ينتمي إلى مديرية دربغا ، بولاية بهار (الهند) ، إنه درس في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ، ثم انتقل إلى المدرسة الدينية بغازيفور ، ومن هنا انتقل إلى المدرسة الإسلامية بهرواره عام ١٩٨٩م على إيعاز من القاضي الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي رحمه الله ، وظل يدرس فيها ويشرف على أموره الإدارية ، وقد وسع نطاق المدرسة حتى أصبحت المدرسة كبرى المدارس الإسلامية في هذه المنطقة ، وظل رئيساً لهذه المدرسة منذ مدة ، كما كان المفتي محمد قاسم المظفرपुरي مشرفاً عاماً على المدرسة ، وكان الشيخ شبير أحمد من أبرز أعضاء الإمارة الشرعية لولاية بهار وأريسه وجارخند ، كانت له صلة روحية بالعلماء الربانيين ، فكان يزورهم حيناً لآخر ، ويستفيد منهم أمثال الشيخ الرباني محمد أحمد البرتابكرهي ، وكان للشيخ شبير أحمد شغف زائد بالشعر والأدب الأردّي ، فكان يطالع كتب الأدباء النوابع ، والعلماء الفطاحل أمثال العلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي ، والشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي ، والشيخ عبد الماجد الدرايبادي ، والشيخ أبي الكلام آزاد ، وحفظ عدداً من خطب العلامة السيد سليمان الندوي المعروفة بخطبات مدراس (الرسالة المحمدية بالعربية) ، كما كان يحفظ أبياتاً أردية لكبار الشعراء أمثال غالب وإقبال ، وكان كثيراً ما يشتري كتب دار المصنفين بأعظم جراه ، وندوة المصنفين بدلهي ، والمجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ ، وغيرها من المجمع العلمية ويجمع في مكتبة مدرسته ، ويوفر للدارسين جواً علمياً ، وبيئة دينية . وقد قدر لي الله تعالى أن أزور مدرسته ، فوجدتها في أحسن حال .

ترك الشيخ شبير أحمد وراءه زوجة وثلاثة أبناء ، وبنتاً واحدة ، أما الأبناء فهم الأستاذ دبير أحمد القاسمي ، والحافظ أنور ، والمهندس خليف أحمد ، كلهم أحياء يعملون في مجالات شتى ، بارك الله في حياتهم ونفع بهم .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأغدق عليه شأبيب رحمته ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04



Dispatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 800/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 73 Issue. No. 01, November 2026

إصدارات حديثة



Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI